ربّان بلا سفينة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: ربّان بلا سفينة

اسم المؤلف: إيهاب ملاك

التدقيق اللغوي: د.ياسر عوض

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٣٩١٠ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٣٧٢-٤-٣



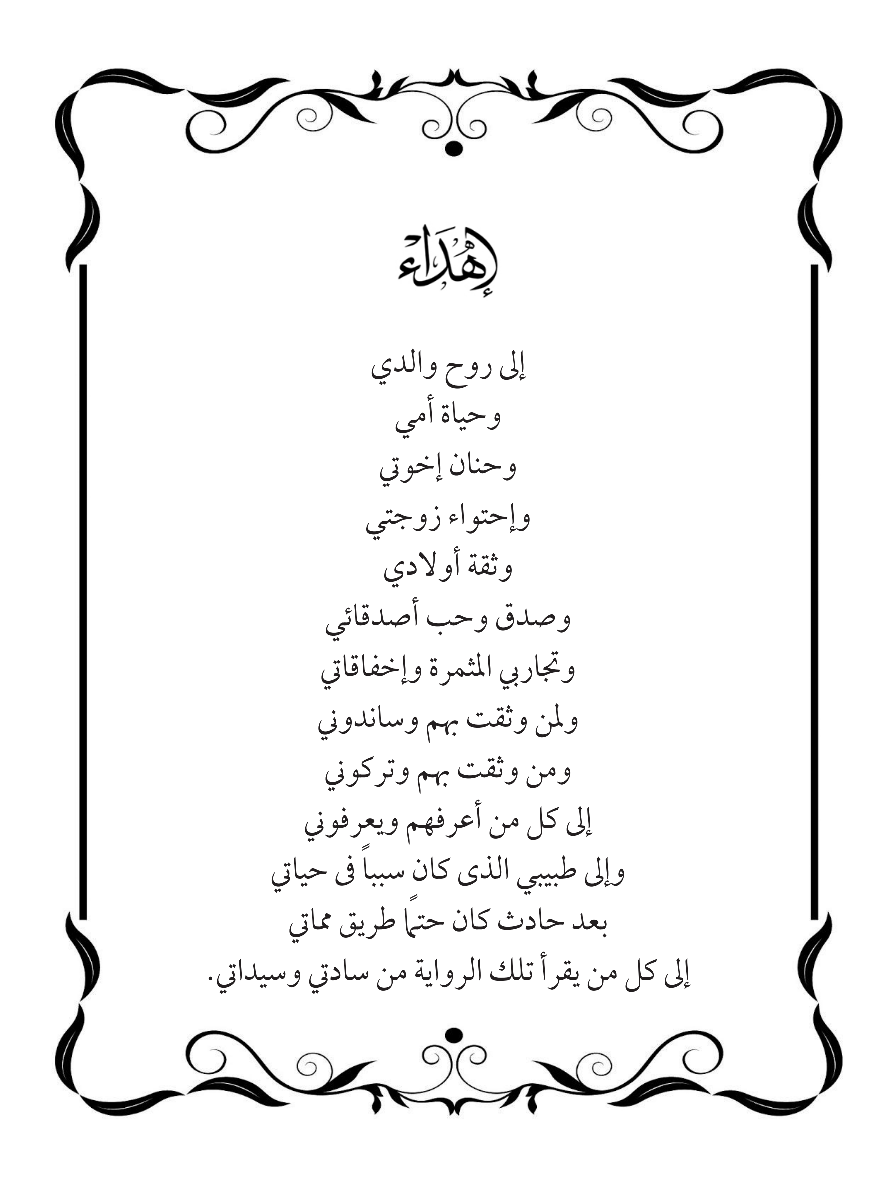

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

ريّان بلا سفينة





إهداء

إلى روح والدي
وحياة أمي
وحنان إخوتي
وإحتواء زوجتي
وثقة أولادي
وصدق وحب أصدقائي
وتجاربي المثمرة وإخفاقاتي
ولمن وثقت بهم وساندوني
ومن وثقت بهم وتركوني
إلى كل من أعرفهم ويعرفوني
وإلى طبيبي الذى كان سبباً فى حياتي
بعد حادث كان حتماً طريق مماتي
إلى كل من يقرأ تلك الرواية من سادتي وسيداتي.

المقدمة

أحيانًا نعيش بالعاطفة وهذا مقبول بشرط الاحتكام للعقل في شتى الأمور، فوظيفة العقل هي تقبّل الأفكار وعدم التقبّل والتصديق وعدم التصديق، ولكن أن يوافق العقلُ أن يُحكِمَ عليه فهذا يسمّى "عبودية"، وأن يعشق من يحكم عليه ذاك يسمى :العبودية المُرّة"، فكلٌّ منا له عالمه الخاص الذي يديره العقل، وله مساحةُ خصوصيةٍ إن مسها أحد فذاك العقل وجسده كالجسد المحنط؛ موجود وقائم ولكن بلا حياة، وبلا ضمير يحكم، فالضمير يمثل الإنسانية الحقة التي لا يشوبها شرّ، وفي تلك القصة مخلوقات خلقها الله حرة ولكنها تَهوَى أن تعيش في العبودية، وتعشق جلّادها الذي يجلدها بلا رحمة أو ضمير يذكر، وهنا تكون المعضلة، وهي أن يأتي ضوء الحقيقة في وسط الظلام وترفضه العقول المظلمة التي تهوى الظلام وتكره أن تعيش في النور لمجرد أن ذاك النور سيهدم عادات كاملة ومعتقدات راسخة بُنِي عليها جهلٌ وتخلف، ويظن أصحابها أنها حضارة وتاريخ، وهو في الحقيقة وصمة عار على

جبينهم.

تحياتي لكم في كتابي الثاني، وكما تعودنا كل الشخصيات والأسماء من وحي الخيال ولا تمتّ للواقع بِصِلَةٍ، تقبلوا كامل تحياتي.

إيهاب ملاك

في ضوء القمر والهدوء يعم المكان، ولا صوت غير صوت الرياح التي تداعب سطح المياه التي تعكس ضوء القمر في شتى الأرجاء اقترب قارب صغير بالقرب من الشاطئ، وبكل هدوء وحذر نزل شخصٌ من القارب يحمل جِوَالًا فارغًا وتحسس الطريق كأنه لص يخاف أن يشعر به أحد، وبجوار شجرة مُسيَّج حولها سور صغير وممنوع الاقتراب منها، دخل ذاك الشخص في هذه المنطقة المحظورة ورفع بابًا مربّعًا كانت عليه بعض الحجارة.

مشى في نفق مظلم وملأ جِوَاله الكبير من شيء في الغالب ثمين وخرج وأغلق الباب وكأن شيئا لم يكن، ووضع عليه الحجارة مرة أخرى ونثر عليه بعض الرمال وقفز من السياج حول الشجرة، وأخذ قاربه واتجه في هدوء ناحية السفينة التي كانت تختفي عن الأنظار بعيدًا!

الفصل الأول

كان طارق قبطانًا بحريًا ناجحًا يعشق ركوب البحر مع أن حلم طفولته هو أن يكون طيارًا في السماء، إلا أنه بعدما لم يستطع أن يدخل مجال الملاحة الجوية التحق بمجال الملاحة البحرية وأصبح قبطانًا، وبعدما تذوق جمال الملاحة في المياه وأدرك أغلب أسرار البحار وعشق كل تفاصيله أصبحت حياة البحر بمثابة حياة أخرى، والأرض غير الأرض التي ولد عليها، ولكن تلك الأرض الخشبية التي تسبح فوق المياه وتجول حيث تشاء بلا قيود أو حدود، ويعشق طارق روح المغامرة التي تحمل كلّ المفاجآت، وهذا المجال لا يعيش إلا بالمفاجآت والألغاز، وكان من أنجح ذويه ودفعته في هذا المجال، خصوصًا وأنه لا يمثل له عملًا يدرّ دخلًا فقط، بل لأنه أحبّه وهواه، والهواية والحب في عمل أى شيء يجعلانه من أنجح الأعمال.

طارق الأخ الأول ترتيبًا بين ثلاثة إخوة متقاربين في ولادتهم؛ فالأول طارق ويسبق هشام بعامين في الولادة، والثالث رامي وقد

تخلّف عن هشام بعامين أيضًا، ولنقل إنها صدفة فقط وليست ترتيبًا من والديهم عبد الله وأميرة الموظفين في السجل المدني بالإسكندرية، وقد تعرفا على بعضهما البعض من خلال زمالتهما في نفس العمل، وتزوجا وأسّسا حياتهما على وظيفتهما، وكان شغلهما الشاغل هو تأمين حياة أولادهما وتربيتهم وتعليمهم.

ومع تطور الحياة وبحكم عمل طارق في مجال الملاحة البحرية كان يبيت بالأيام والشهور وما يقارب العام خارج منزل عائلته التي تعودت أن يكون ابنهم ضيفًا عليهم بين الحين والآخر.

وكان من ترتيبات والده ووالدته أن يزوجاه من ابنة خالته التي كانت تتميز بهدوئها وجمال ملامحها وتربيتها الحسنة، وفوق كل هذا كانت تحب طارق ودون أن تصرح لأحد بهذا؛ فقد كانت ملامح وجهها وتعبيراته تفصح دومًا عمَّا تخفيه عن كل المحيطين الذين كانوا يعرفون كل هذا ويتصنعون الجهل بالأمور كي لا يسبقوا الأحداث.

ولكن طارق كان قليل الكلام ضعيف التفاعل مع أسرته منطويا إلى حدٍّ ما عن البقية، ولم يكن يشغل عقله بالحب أو خلافه أو حتى الحديث عنه، بل كل ما كان يشغله هو عمله وحياته في

أعالي البحار.

في صباح يوم الجمعة الساعة السادسة صباحًا

قامت والدته كي تجهز ما يمكن تجهيزه؛ لأن يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذي تكون فيه كل الأسرة مجتمعة بما في ذلك أختها وأخت زوجها وأولادهم وأزواجهم، وكان هذا اليوم مميزا، وسِرُّ تميزه وجود طارق الذي نادرًا ما يتواجد في يوم كهذا، فلعل ما تتمناه لابنها يناله وهو أن يلتفت لابنة خالته ويقع في لعنة الحب.

وما هي إلابضعة دقائق ثم رن الهاتف المحمول لوالد طارق، وردّت أم طارق على الهاتف ثم قالت:

– حاضر ثانية واحدة.

ثم دخلتْ غرفة نوم طارق وإخوته وأيقظت طارق قائلة:

– طارق، طارق.

– أيوه يا ماما.

– فيه حد عاوزك على التليفون.

طارق: ألو.

المتحدث: أيوه يا قبطان، صباح الخير.

طارق: صباح النور يا فندم أؤمرني.

المتحدث: للأسف فيه رحلة طالعة البرازيل، والظابط الثالث عمل حادثة امبارح، ومفيش قدامنا غيرك، والربان هيكون موجود الساعة ١١ صباحًا في الشركة وأرجو تكون موجود.

طارق: تمام حاضر يا فندم.

المتحدث: مع السلامة.

طارق: مع السلامة يا فندم.

ثم أغلق الهاتف ووجد والدته ما زالت واقفة تنصت للحديث ثم قالت:

- هو مش مكتوبلنا نقعد معاك يومين على بعضهم يا ابني!!

طارق: معلش يا ماما إنتِ عارفة ظروف شغلي.

والدته: طيب والناس اللى جايه تقعد معانا علشانك دي نقولها إيه؟

طارق: اعتذريلهم بالنيابة عني، وإنتِ عارفة إنه غصب عني يا

حبيبتي معلش.

والدته: هعمل إيه؟ أنت سايب الشغل كله وجاي على شغلانه ما يعلم بيها إلا ربنا!!

طارق: ادعيلي بس يا ماما.

والدته: ربنا يحافظ عليك وترجع بالسلامة يا ابني، مش ناوي بقى تجيب تليفون علشان نعرف نكلمك؟

طارق: التليفون دا وجع دماغ، ما أنا أول ما أنزل بجيلك على طول هاروح فين بس يا ست الكل؟

والدته: ماشي يا طارق يا أبو دماغ ناشفة، هصحيلك أبوك وأنت صحي إخواتك وافطر وانزل.

طارق: عنيا، يلا جهزي الفطار وسيبيلي الرجالة هتعامل أنا معاهم، ههههه.

ثم خرجت والدته نحو غرفة نومها كي توقظ زوجها عبد الله.

أميرة: عبد الله، عبد الله، اصحَى قوم ابنك مسافر.

عبد الله وهو يضع كف يده على عينيه كي لا يجلدها مصباح

الغرفة وهي في سكراتها:

– هو لحق يا أميرة يجي علشان يمشي؟!

أميرة: بقوله كده بيقولي ادعيلي بس يا ماما، ما تشوف لك حل ويّاه الواد ده.

عبد الله: حاضر، أنا قايم أضربه الواد ده وأقوله اسمع كلام ماما.

أميرة: بزمتك أنت أب أنت، بدل ما تقوله شوف حالك واتجوز وهاتلنا حتة عيل تفرحنا بيه تقلب الموضوع هزار.

عبد الله: أنا كلّمته كتير يا أميرة وزهقت كلام وياه، عاوزاني أعمل إيه تاني بس؟ أنا مش ناقص هَمّ، سيبيني في اللي أنا فيه.

أميرة: طيب قوم يا أخويا قوم، هو دا اللي أنت فالح فيه.

عبد الله: طيب حضري الفطار يلا وصحي العيال.

أميرة: طارق بيصحيهم وزمانهم صحيوا، قوم أنت بس الأول من السرير.

عبد الله: أستغفر الله وأتوب إليه، أَديني قُمْت يا ستي، يا رب تهدي بقى يلا يلا نطلع للعيال.

ثم خرجت أميرة وعبد الله ووجدا طارق يستعد للخروج وإخوته في الانتظار جالسين على أنتريه الصالة التقليدي ووجوههم تكاد تكون نائمة؛ لأنهم تأخروا في نومهم كالعادة كل خميس؛ فالخميس سهرة العائلة الدافئة، وتلك الليلة الماضية أجمل؛ لأن طارق أخاهم كان موجودًا معهم.

عبد الله: صباح الخير يا طارق يا ابني.

طارق: صباح الخير يا بابا.

عبد الله: ما ينفعش تستأذن يا ابني؟

طارق: هههههههه، ما أنت عارف اللي فيها يا غالي.

عبد الله: تروح وتيجي بالسلامة.

ثم قال أخوه الأوسط هشام:

- أنت هتسافر فين يا طارق؟

طارق: البرازيل يا حبيبي.

هشام: يااااه دي بعيدة دي صح؟

طارق: آه هِيّا بعيدة شوية الصراحة.

فقاطعهم أخوهم الأصغر رامي:

– ابقى هاتلي حاجة حلوة معاك.

أميرة: أنت ما بتشبعش طلبات؟

رامي: هو أنا كلّمتِك يا ست إنتِ؟

أميرة: شوف ابنك بيكلمني ازاي يا عبد الله!

عبد الله: عيب يا زفت، أنا مش ناقص مشاكل.

رامي: يا أميرتي هو أنا لِيّا غيرك، دا إنتِ الحِتّة الشِّمال.

أميرة: آه منك أنت يا بكاش يا ابن البكاشة.

طارق: خلاص يا جماعة أنا هجيبله حاجة حلوة، هجيبلك بُنّ من هناك، هههههه، البرازيل يعني بُنّ.

رامي: إيه؟ بُنّ؟! بُنّ إيه يا عم أنت؟ هاتلي أي حاجة حلوة معاك؛ تليفون ولّا هات فلوس وخلاص.

طارق: حاضر يا روميو أنت تؤمرني.

فقام عبد الله ونادى على طارق قائلًا:

– طارق، تعالَ عاوزك.

طارق: حاضر يا بابا.

ثم دخل طارق مع والده إلى غرفة نوم والده.

طارق: أؤمرني يا كبير.

عبد الله: معلش يا ابني أنا متقّل عليك، بس مصاريف إخواتك قطمت وسطي وأنااااا...

فقاطعه طارق قائلًا:

– يا بابا، كلنا عايشين من خيرك وعايشين بيك أنت وماما ومالناش غيركم.

عبد الله: احنا متقّلين عليك يا ابني، بس مالناش غيرك معلش.

طارق: ازاي تقول كده يا بابا؟ أنت الخير والبركة طبعًا، وأنا تحت أمرك يا بابا دا مش تفضل مني دا واجب عليا يا بابا.

عبد الله: ربنا يخليك لينا يا ابني وما يحرمناش منك.

طارق: محتاج قد إيه يا غالي؟

عبد الله والخجل يعتصره والألم يزيد هذا الاعتصار:

– يعني ألفين جنيه ولّا حاجة.

طارق: تحت أمرك يا غالي، هَلْبس وأنزل أجيبلك اللي أنت عاوزه قبل ما أمشي.

عبد الله: ربنا يخليك لينا يا حبيبي.

طارق: ويخليك لينا يا بابا يا رب، وتفرح بينا يا رب.

عبد الله: بالمناسبة، أمك مصدّعاني علشان أفاتحك في موضوع الجواز.

طارق: هههههه، يا ريتني ما اتكلمت، لسه ما جاش الأوان يا بابا صدقني، سيبها بظروفها.

عبد الله: ربنا يرتبلك الخير يا ابني.

طارق: طيب يلا نفطر بقى علشان ألحق أشوف اللي ورايا.

عبد الله: يلا يا حبيبي ربنا يوفقك يا ابني.

ثم خرج طارق ووالده من اجتماعهما المغلق إلى صالة شقتهم حيث البقية منتظرين، فقال هشام:

– خير اللهمّ اجعله خير.

رامي: يا عم هو فيه حد يعرف اللي بين بابا وطارق؟ دا ولا ماما

بجبروتها تقدر تعرف، مش كده يا ماما؟

أميرة: بس يا مقصوف الرقبة أنت. منك لله يا رامي يا ابن بطني.

هشام: خلاص يا عم رامي ما تتكلمش، هِيّا كده تيجي عند طارق وتلاقيها اتبخّرت.

أميرة: ماشي يا هشام، وأنت كمان؟ دا أنا بقول عليك عاقل مش زي الصغير الشعنون ده.

رامي: أنا شعنون؟ طيب يا أم الشعنون خلي هشام يبقى يروح يقضيلك مشاويرك وطلباتك.

أميرة: دا انت الصغنن قلب ماما، هو أنا لِيّا غيرك يا قلبي.

هشام: هههههه، جابت ورا في ثواني.

طارق: بس يا واد أنت وهو مش عاوز أسمع صوت، واللي يزعل بابا ولّا ماما في غيابي هو حرّ، وأنتو عارفين هعمل إيه؛ مفيش لا هدايا ولا لحاليح.

هشام: هههههه، لا ياغالي دا احنا خدامينهم هو احنا نقدر. اِتكتم بقى يا رامي أفندي هتضيعنا.

ثم جلسوا وتناولوا إفطارهم سويًا وارتدى طارق ملابسه ونزل من المنزل بحجة قضاء بعض الأشياء الخاصة، ولكن في حقيقة الأمر كان يريد أن يُحضر مبلغًا لأبيه من البنك بواسطة الفيزا الخاصة به، فأحضر عشرة آلاف جنيه من حسابه الذي لا يعلم أحدٌ ما فيه من نقود إلا والده فقط، وبعد إحضار المبلغ وضع في جيب بدلة والده سبعة آلاف جنيه بكل هدوء ثم خرج وجلس لبضع دقائق يوصي إخوته بوالديهم ثم قال:

– لو سمحت يا بابا محتاج مِتين جنيه من معاك.

احمرّ وجه عبد الله خجلًا؛ لأنه يعلم أن طارق يعرف كل المعرفة أنه لا يملك خمسة جنيهات حتى.

طارق: سلف يا عم عبد الله ولّا أدخل آخد أنا؟ أنا شايفك وأنت بتأستك الفلوس يا عم وبتحطها في جيب الجاكيت بتاعك.

عبد الله: طب ادخل خد يا طارق.

طارق: مقدرش؛ أنت عوّدتني إني آخد من إيدك، ما تحرمنيش يا عم بقى.

ففهم عبد الله والد طارق أنه يريد أن يُبلغه أنه وضع له المبلغ في

جيب الجاكيت الخاص به، ثم قام عبد الله من مكانه ودخل الغرفه ووجد المبلغ كبيرًا فوق ما طلب، فأخذ مِئتي جنيهٍ وخرج ليقول لابنه إن المبلغ كبير.

عبد الله: يا طارق يا ابني..

فقاطعه طارق وأمسك بيده وبها مئتا الجنيه وقبّلها وقال له:

- ربنا يخليك لينا يا رب، أنت السند والخير كله يا بابا. أنا عارف هتقول إيه، أول ما أرجع هديهملك حاضر.

عبد الله: هههههه،هههه، برضو طيب ماشي، وابقى امضيلي شيك قبل ما تمشي.

الفصل الثاني

ودّع طارق والده ووالدته وإخوته ونزل إلى رحلته التي لا يعلم ميعاد رجوعها ولا وجهتها بعد ذلك، ثم وصل إلى الميناء ووجد الطاقم في انتظاره، والسفينة تم تحميلها كاملة بالأسمدة الزراعية، وعند مراجعة الأوراق وجد أن الحمولة كبيرة على السفينة وتفوق احتمالها؛ فتوجه للقبطان عَسران قائده:

طارق: لو سمحت يا فندم.

عسران: أيوه يا طارق.

طارق: الحمولة زايدة قوي يا فندم.

عسران: وبعدين؟ عاوز إيه يعني؟

طارق: كده السفينة معرضة للغرق.

عسران: وهي دي أول مرة نعمل كده؟

طارق: يا فندم بالنسبة لِيّا دي أول مرة.

عسران: بقولك إيه، ما توجعش دماغي، أنا المسؤول عن الرحلة، مش أنا هبقى معاك؟ ما تخافش يا ابني، الخوف دا ماياكّلش عيش وما تقلقش هتراضى يا سيدي بس اِهدَى شوية.

طارق: مش موضوع مراضية يا فندم، أنا بقول على الصح للطقم كله.

عسران: ما تقلقش يا طارق، وبعدين واثق في قيادتك وتصرفك وعارف إنك هتوصّلها بالسلامة لو حصلي حاجة.

طارق: بس يا فندم..

عسران: ما بسش بقى كفايه كلام نفذ الأوامر وخلّصنا.

طارق: تمام يا فندم عُلم وينفّذ.

وانصرف طارق على مضض وذهب ليكمل بقية عمله، وبعد مُضيّ حوالي ثلاث ساعات صعد الرّبّان عسران والضابط الثالث طارق وبقية الطاقم المساعد وانطلقت السفينة مودّعة مرساها في الإسكندرية، وسلكت طريقها في سلام دون أن تشكو من زيادة الحمولة، وعندما دخلت أدغال البحار وعبرت أوروبا وبعدها المحيط الأطلسي وبعد مرورها بدولة أسبانيا سمع الربان المساعدين

ينادون بأعلى أصواتهم:

- الحقنا يا قبطان، الحقنا يا قبطان.

عسران: شوف فيه إيه يا طارق.

طارق: حاضر يا قبطان.

نزل طارق مسرعًا نحو القاع ووجد ما كان يتوقعه؛ فبمجرد لمس قدميه لأول درجات سلم السفينة وجد الماء يملأ قاع السفينة في غرفة المواتير والعمال تحاول السيطرة ولكن دون أي سيطرة على أي شيء، فصعد طارق مهرولًا وقال لعسران:

- مش قولتلك يا فندم، أدينا بنغرق.

عسران: إيه اللي حصل؟ فيه إيه يا طارق؟

طارق: تعالَ شوف بنفسك نتيجة استهتارك.

عسران: طارق، بتكلمني ازاي كده؟

طارق: لو ربنا كتب لينا النجاة أنا اللي هسجنك مدى الحياة على اللي عملته فينا.

عسران: اقعد هنا وأنا هتصرّف، كل اللي على السفينة ينزل معايا.

طارق: روح اتفضل ورّيني شطارتك.

وما إن نزل عسران من غرفة القيادة حتى جمع كل الطاقم ونزل معهم لقاع السفينة وكأن القدر كان ينتظر هذا الربان الخائن للصواب، الذي يعشق أن يخالف، عديم المبادئ حتى يعاقبه ويجعل كلّ من معه يموت كي يحمل على عاتقه ذنب قتلهم؛ فما إن نزل إلى غرفة المواتير حتى انفجر قاع السفينة من ضغط المياه بالأحمال وضربهم جميعًا في سقف الغرفة وماتوا بلا استثناء في لحظات دون أي فرصة للنجاة.

وما إن وجد طارق المياه تصعد من القاع حتى انصرف نحو قارب النجاة وأخذ ما يستطيع أخذه، ورمى القارب في الماء ورمى نفسه خلفه ومعه الأشياء التي استطاع خطفها بكل عشوائية دون أي تفكير أو ترتيب، وحاول أن يتعلق بالحياة من خلال تشبثه بقارب النجاة، وصعد بصعوبة بالغة وحاول الوصول لكل الأشياء المتناثرة في المياه، وأثناء ذلك شاهد السفينة - بكل ما عليها وبكل مَن فيها - تغرق معانقةً للماء وتغوص في قلب المحيط، وهنا تبخرت كلّ أحلامه في النجاة، وإن عاش يومًا أو يومين ولم يفترسه قرش أو يبتلعه حوت أو تعصف به عاصفة سيموت جوعًا أو

عطشًا.

كل تلك الأفكار كانت تجول بخاطره أثناء تصاعد فقاعات الهواء من غرق السفينة ضحية الجشع والطمع بأرواح من فيها، فمن يستحق الموت ألف مرة هو الربان أما البقية فهم ضحايا هذا اللص المختلس عسران.

كان الظلام قد بدأ يلوح في أفق الفضاء معلنًا سلطان ليله على كافة الأرجاء ومُرحِّبا بملك العشاق والسماء القمر الذي يعكس ضوء الشمس في شتى الأنحاء.

وبدا على طارق الأرق والإنهاك من شقاء ذلك اليوم التعيس وتمدد في قارب النجاة حتى يصبح صباح اليوم التالي لعله يعرف أين قِبلته وأين ملاذه إن وَجَدَ ملاذًا.

وفي باكر اليوم التالي خرجت الشمس معلنة انتهاء سلطان الليل واختفاء قمره؛ لأنها لا يضاهيها نور في السماء، تلك الشمس الحارقة التي نظنها تعاقبنا بحرارتها في حين أن حرارتها هي حنانها على أرض البشر كي تعطينا حياة.

فتح طارق عينيه في الشمس ونظر للشرق بشمسه وتوقع أين

وجهته ووجّه ظهره للرياح وقصد مكان رجوعه لأسبانيا فهي الأقرب حسب توقعاته وخبراته المكتسبة، وحاول التجديف بهدوء وهو يراقب المياه كي لا يغدر به غادِرٌ من وحوش البحر، ووجد الرياح تساعده حسبما توقّع.

أخذ يجدف أسرع وأسرع كي يلحق ما يلحقه من مساعدة الطبيعة له قبل أن تخور قواه ويفقد في الأمل رجاه، وأثناء التجديف وفي آخر النهار وجد أمام عينه يابسةً فهلّل من السعادة وطار قلبه فرحًا لعل ما يظنه صحيح، وأخذ يجدف بكل سرعته وقوته وتركيزه كي يصل إلى تلك اليابسة، وبعد عناء عظيم وصل حيث يتمنّى على شاطئ المياه ثم نزل من القارب كالثَّمِل الخارج من الحانة بعد ليل طويل، وارتمى على الشاطئ وفقد وعيه لبعض الوقت الذي لم تحدده ذاكرته و من الممكن أن يكون هذا من شدة التعب أو من شدة الفرحة.

وما إن أفاق وتجمعت ذاكرته ووعيه حتى وجد خيالًا قادمًا من بعيد ولكن في حذر.

الفصل الثالث

طارق: مين؟ مين هناك؟

فذهب الخيال بعيدًا قليلًا.

طارق: إنت جِنّي ولا إِنسي؟

فاقترب منه الخيال ووجده فتاة تتأمله وتقترب منه في حذر.

طارق: إنتي مين؟

الفتاة: أنت اللي مين؟ وإيه جابك أرضنا؟ أنت وصلت ازاي هنا؟

طارق: أنا قبطان سفينة وسفينتي غرقت باللي فيها، وأنا الوحيد اللي نجيت منها.

الفتاة: طيب قوم معايا.

طارق: أروح فين؟

الفتاة: قوم معايا وبلاش كلام كتير، قوم.

طارق: هو فيه حد تاني على الجزيرة دي؟

الفتاة: قوم معايا وبلاش غلبة.

طارق: حاضر بس أنا عطشان وما أكلتش من يومين.

الفتاة: طيب تعالَ ورايا.

طارق: حاضر.

وقام ولملم حاله واتّبع خطاها في حذر خوفًا منها؛ لأنها في الظاهر حادة الطباع وشديدة البأس. وصلا بعد مسافة داخل الجزيرة إلى مقر الشيوخ كبار الجزيرة. أوقفته مكانه بعيدًا عنهم بمسافة ليست بقريبة وذهبت وحدها تتكلم معهم وتصوّب إصبعها عليه، وما إن تحدثت حتى قام بعض الشباب بعد إشارة من هؤلاء الشيوخ وأوثقوه ولكموه وهو في غاية الألم وحمله الشباب وطرحوه أرضًا أمام كبار جزيرتهم، فكان أكبرهم الحكيم ماندي فتحدث قائلًا:

ماندي: اسمك إيه؟

طارق: اسمي طارق.

ماندي: جيت هنا ازاي؟

طارق: السفينة اللي كنت عليها غرقت ووصلت بقارب النجاة هنا.

ماندي: أنت تعرف قوانين الجزيرة؟

طارق: لا أعرف قوانين، ولا أعرف أنا فين، ولا أعرف اسم الجزيرة حتى.

ماندي: عارف عقوبة اللي يدخل جزيرتنا إيه؟

طارق: ما اعرفش؛ لأني مش قاصد آجي الجزيرة بالتحديد أنا وصلت لأقرب أرض لِيّا فقط لا غير.

ماندي: عقوبة اللي يدخل جزيرتنا هِيّا الموت، بس طالما متقصدش وجاي بالصدفة يبقى لازم نروح للحاكم.

طارق: طيب عاوز أشرب وآكل أي حاجة وبعدين اعملوا اللي أنتو عاوزينه مش هتكلم.

ماندي: هاتوله الزاد والميّه وخلّوه مربوط وعاملوه بحدود لما يتعِرِض في شمس النهار على الحاكم.. يا ساندي.

ساندي هي نفس الفتاة التي سلّمته للحكيم.

ساندي: أيوه يا والدي.

ماندي: أعطيه الزاد بحدود والميه بحدود.

ساندي: أمرك يا والدي.

ماندي: احملوه يا شباب لسجن الأغراب لما يتعرض في الصباح على حاكم جزيرتنا.

وقال بصوت عالٍ: عاش الحاكم.

فردّد الجميع بصوت جهوري هز أرجاء المكان:

- عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ثم حملوه إلى سجن في أطراف الجزيرة على البحر وهو مكبّل الأيدي والأقدام، وأجلسوه على الأرض وهو مربوط، وأتت ساندي وأطعمته ما تيسر من بعض الطعام البحري، وأعطته ماء ليشرب دون أن يتحدثا معًا بكلمة واحدة، ولكنّ للعيون حديثا مختلفا عن كل الأحاديث فيا للغرابة!! هل هذا وقت الحب أم هو الفضول فقط من الطرفين في معرفة ما تخفيه الجفون؟

وبعد أن أكل وشرب حلّ النوم على طارق وكأنه لم ينم منذ

زمن بعيد، إلا أنه ارتاح بعد تلك الأحداث المجهدة أو ربما بسبب الطعام والشراب بعد الحرمان الذي يجعل الجسد شبه فاقد السيطرة على شتى أجزائه التي تماسكت قبل حد الانهيار بلحظات؟

تركته ساندي وخرجت بعدما غاص في نومه الذي يشبه الموت إلى حدٍّ كبير، وفي الصباح أتى إليه الحكيم ماندي وقال له:

- صباحك منير.

طارق: صباح الخير.

فلطمه ماندي على خده وقال له:

- لما حدّ يقولك صباحك منير ترد تقوله: صباحك منير بحاكمنا البصير.

طارق: طيب حاضر أنا آسف.

ماندي: صباحك منير.

طارق: صباحك منير بحاكمنا البصير.

ماندي: صح كده، ودلوقتي هنروح للحاكم ونعرض عليه الأمر وهو اللي هيفصل في أمرك.

ونادى على الشباب فحرروا قدميه وأبقوا يديه موثقة خلف ظهره،

وذهبوا به نحو بيت الحاكم وخلفهم سكان الجزيرة كعادتهم في كل محاكمة.

سلكوا طريقًا ممهدًا ومنمق الشكل، وعلى جانبيه أشجار غريبة لم يرها من قبل ومجرى نهر يوازي هذا الطريق ويصب في النهاية في فوهة حول بيت بدأ يقترب شيئًا فشيئًا مُسيّج بسور خشبي غريب وحوله الأشجار الوارفة، وعندما اقترب وجد الجميع واقفًا ينتظر الحكيم ماندي؛ الرجل ذو اللحية البيضاء الذي يرتدي جلبابًا من جلد بعض الحيوانات البحرية، صُنع له خصيصًا تقديرًا لحكمته وعمره الطويل في الجزيرة دون أن يُحاكَم أو يُتَّهم مرة واحدة.

أما باقي شعب الجزيرة رجالا ونساء وأطفالا فكانوا يرتدون الملابس التقليديه العادية من الجلد أيضًا.

وعندما وصل طارق والشباب وجد زحاما أمام بيت الحاكم فوقف طارق يتأمل هذا المنزل الذي يبدو عليه علامات الحضارات القديمة، فوجده من طابقين مساحته لا تتعدى مائة المتر مربع، فقد كان تقريبًا بطول عشرة أمتار وعرض عشرة أمتار يظهر من

الدور الأرضي جزء من الباب الرئيس للمنزل وكان من دَرْفتين، واتساعه يقارب المترين وتغطيه الأتربة المتراكمة التي تُظهر مرور زمن طويل عليه دون أن يفتحه أحد من قبل، وكان يكتسي باللون الأحمر الغامق الذي أفقده الزمن رونقه وأصبح يرمز للحضارة الماضية، وبجوار الباب من هنا ومن هنا بوتقتان وكان بُعد البوتقة عن الباب حوالي متر ونصف من هنا ومن هنا على جانبي الباب العتيق، والبوتقة اتساعها يقترب من السبعين سنتيمترًا، وسُمك الحائط كان يقترب من نصف المتر.

أما الدور الثاني فكان مصفوفًا من خشب مصنوعا بإتقان وجمال يبرّئ صانعيه من العمل بلا محبة، فكان مصمتًا ومغلقًا إلا فتحتين فوق البوتقتين، كل فتحة مستطيلة وبها مشربية مفتوحة ومثبتة على كلا الجانبين، وفي الوسط علامة سوداء تمثل القراصنة.

أما الدور الثالث فكان كالهرم ثلاثي الأضلاع، وكل واجهة من ثلاثة الأوجه تحتوي على ثلاث بوتقات مماثلة للموجودة بالأسفل وموزعة بانتظام في ثلث تلك الواجهة، وتكتسي باللون الأسود الذي فقد هيبته وجماله كي يساعد باقي الشكل العتيق لهذا المنزل في الوصول إلى زمن الحضارات القديمة.

وكان يحيط بهذا المنزل على بعد خمسة أمتار في كل اتجاه سورٌ خشبي يقارب ارتفاعه المترين، وحول كل هذا خندق يتعدى عرضه الثلاثة أمتار كحماية وردع لا تظهر نهايته لباطن الأرض وعرضه الذي كان حوالي ثلاثة أمتار كان كحماية من الدخول لهذا العرين.

وأمام المنزل توجد منصة مساوية للأرض ومسيّج حولها بحبال وعلامات عدم الاقتراب، ووُضع أمامها حربتان متقاطعتان، وكانت مساحة تلك المنصة حوالي متر مربع ولونها يُظهر أنها من جذوع الأشجار المتقنة، فظن أنها منصة الحاكم التي يتحدث وهو يقف عليها ويباشر محكمته من فوقها كي يكون مميزًا عن باقي الشعب.

وقبلها كانت توجد منصة أكبر أخرى لها سور خشبي وله طرقة توجه للمنصة الصغيرة الماضية، والطرقة الأخرى تستقبل المترجّل كي يصل لها من الخارج.

وبينما يكمل بنظره اكتشاف الأمر توجّه له الشباب وخلعوا ملابسه الخارجية وتركوه بملابسه الداخلية فقط، ثم قيّدوا يديه مرة أخرى خلف ظهره وأوقفوه قبل المنصة الكبيرة، ثم أدخله

الشباب إلى المنصة الكبيرة وأمروه أن يركع على قدميه ويضع رأسه على الأرض باتجاه المنصة الصغيرة ومنزل الحاكم.

وبالفعل نفذ طارق ما طلبه منه الشباب وجاء الحكيم ماندي وابنته ووقفا بجوار طارق وهو ساجد كما أمره الشباب، فقال الحكيم ماندي:

- يعيش الحاكم.

الشعب: يعيش حاكمنا العادل.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

ثم ساد صمت وكأن الحضور ينصت لصوت أجنحة الفراشات فوق الزهور، وتقدم الحكيم ماندي خطوة للأمام، أما ساندي مكانها بلا حراك بجوار طارق.

قال ماندي مخاطبًا الحاكم:

- سيدي الحاكم وسيد جزيرتنا ومَجرَى العدل من حضارتنا، يا مَن تحمينا بالقانون وتقوّينا بعدلك، جئنا لتتصدق علينا بفضلك وتحكم لنا حسب مشيئتك ورشدك. سيدي وسيد جزيرتنا، جئنا

إليك لتُنير بصيرتنا، والآن انتهت مقدمتي وسأتحدث في موضوع قضيتنا؛ بنتي ساندي كانت على أطراف الجزيرة تتابع مدّ وجزر القمر، ووجدت هذا المتهم على شاطئ أرضك وجزيرتك دون إذن ولا استئذان قبل أن تدنو قدماه من تلك الأرض المقدسة، وأحضرت المتهم لي، وبدوري حكيم الجزيرة وخادم سيدي الحاكم.

ثم قال ماندي بصوت عالٍ: عاش الحاكم.

فنطق الشعب: عاش الحاكم العادل.

وأكمل ماندي قائلًا:

- وها هو بين يديك ينتظر حكمك وحِكمتك واختيارك لمصيره، وكما عوّدتنا سيقف ويحكي ما عنده ثم يعتلي منصة الحكم وأنت من يقرر سيدي الحاكم. عاش الحاكم.

فرد الشعب: عاش الحاكم العادل.

وهنا أوقفَ الشباب طارق وكان الإرهاق يأكل كل شيء فيه؛ عقله وروحه وجسده، ووقف في مكانه ثم أمره ماندي أن يتكلم دون أن يرفع عينيه للأعلى، بل يقف وهو ينظر إلى الأرض، وهمس

له أن يقول: "سيدي الحاكم"، ويحكي ما عنده ثم يختم: "ولك كل الأمر في أمري سيدي وسيد الجزيرة سيدي الحاكم".

فقال طارق وهو ينظر إلى موطئ قدميه:

- سيدي الحاكم..

الشعب: عاش سيدنا الحاكم العادل.

طارق: أنا ربان ثاني لسفينة مصرية، وكان الربان الأول وقائدي..

فقاطعة ماندي بغضب:

- عاش قائدنا الحاكم ولا قائد سواه.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل وليس لنا سواه.

ساد الصمت برهة على الجميع وعلى طارق بالأخص من الخوف والذعر؛ لأنه لا يعرف كيف يتكلم خوفًا من غضب الحاكم، فتكلم ماندي:

- سيدي وسيد جزيرتنا وحاكمنا الجليل، عذرًا على جهل هذا الشخص الذي لا يعلم أين يقف وماذا يقول. عاش حاكمنا.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

وهمس ماندي لطارق أن يتحدث بكل حذر وأشار له بإذن الحديث.

طارق: عاش حاكمنا.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

طارق: سيدي الحاكم.

الشعب: عاش سيدنا الحاكم العادل.

طارق: ربان السفينة التي كنت أعتليها قرر أن يضاعف حمولة السفينة بلا أي وجه حق، وعندما رفضتُ قال: إن كل شيء على مسؤوليته الشخصية وليس لي حق الرفض أو القبول حسب تقديره، ثم أبحرنا بالسفينة وبعد إبحارنا غرقت السفينة بكل من عليها، ولم أستطع إنقاذ أحد وأخذت قارب الطوارئ ونزلت فيه وأبحرت في المحيط حتى وصلت إلى شاطئ جزيرتكم فارتميت في أحضانه من الإرهاق والتعب، ولم أدرِ بنفسي إلا وهذه الفتاة توقظني وتصطحبني إلى هذا الرجل، ولم أَقصد أن أدخل جزيرتكم بل هي الأقدار التي جعلتني هنا وبين يديكم.

وسكت طارق ولم يتحدث بعدها فأتي الحكيم ماندي وتقدم أمام طارق ووقف وقال:

- عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ماندي: عاش قائدنا الحاكم.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل.

ماندي: سيدي وسيد قومي ومالك جزيرتنا الهمام وحامي شعبنا من الفتن والمكائد، لك كل الأمر يا سيدي، إن عفوت عنه صار منّا وإن لم تعفُ عنه فليتقبل حكمك بلا تراجع أو حتى دفاع.

والآن سيدي الحاكم العادل.

الشعب: عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ماندي: والآن يا سيدي سيصعد المتهم كي تتعطف عليه وتحكم حكمك العادل عليه.

وأمسك الحكيم ماندي بيد طارق الموثوقة وحلّ وثاقها وجعله

يتقدم أمامه حتى أوقفه على منصة الحكم المخصصة للنطق بالحكم، وتقدم طارق ووقف على المنصة وانتظر النطق ونظر للأعلى فوجد راية بيضاء ارتفعت فوق المبنى، ومضت دقيقة ولم يتكلم أحد، وهلّل كل أهل الجزيرة وأشاروا له أن ينزل من المنصة، وعندما نزل نظر خلفه فوجد الراية البيضاء قد اختفت.

الفصل الرابع

وقبّلوه ورفعوه فوق الأعناق وألبسوه من ملابسهم وصار واحدًا منهم للعفو عنه من حاكمهم الذي لم يره حتى الآن أو يسمع صوته حتى!!

وأعلمه الحكيم ماندي أن له كل الحرية في الجزيرة وتُطبق عليه قوانينها؛ لأنه الآن من مواطنيها الشرفاء، ويطبق عليه الدستور والقانون الخاص بهم.

كل هذا وطارق لم يتحدث حتى الآن ولم يتكلم ولم يسأل سؤالًا حتى، وخصصوا له منزلًا بين منازل العزّاب وأعطوه ملابس من ملابسهم، وأبلغوه أن يُمضي اليوم معهم وأن يقضي سهرته معهم الليلة؛ لأنهم سيحتفلون به وفي الغد لديه الكثير من الدروس ليتعلمها والقوانين ليحفظها والتقاليد ليدركها، وبعدما قاربت الظهيرة على الانتهاء وتنفس طارق الصعداء في منزله الجديد الذي وهبه له هؤلاء الغامضون على حد تفكيره وحاكمهم الغامض

مثلهم الذي لم يراه أو يسمع صوته حتى.

جلس طارق يتذكر الأيام الماضية بحلوها ومرها وويلاتها الأخيرة التي صارت بالنسبة له ولادة جديدة من رحم الموت المؤكد الذي لا مفر منه، وكيف نجا وكيف عاش بعد كل هذا القهر والمرار الذي ألمَّ به، وأخذته غفوة من النوم وسط كل هذا الضجيج من التفكير والتقلبات التي مر بها، ومن شدة الإرهاق لم يدرِ بنفسه إلا وباب منزله يطرقه أحد من الخارج وينادي:

- يا كابتن طارق، يا كابتن طارق.

طارق: أيوه حاضر.

الشاب: مساؤك سعيد.

فتردد طارق في الرد ثم قال: أردّ أقول إيه؟

الشاب: تقول مساؤك سعيد بحاكمنا ذي الرأى السديد.

طارق: مساؤك سعيد بحاكمنا ذي الرأى السديد.

الشاب: الحكيم ماندي وباقي شعب الجزيرة ينتظرك علشان الاحتفال.

طارق: اِتفضل تعالَ.

الشاب: مفيش وقت، أنا منتظر هنا، هندم حالك واغسل وشك ويلا بينا.

طارق: أغسل وشي فين؟ مفيش حاجة أغسل وشي فيها!

دخل الشاب معه وأشار على الأرض حيث يوجد صخرة حرّكها فوجد مجرى مائيًّا صغيرا تحتها، فغسل وجهه وفي الناحية المقابلة وجد صخرة أخرى فحركها الشاب فوجدها فتحة لقاع الأرض لقضاء الحاجة، فابتسم طارق وقال:

- أنا دايخ عليها من ساعة ما جيت.

الشاب: طيب هستناك بره وخلص اللي وراك وأنا منتظرك.

طارق: ماشي تمام.

ثم خرج الشاب وانتظر خارج الباب وفكّ طارق كربه في تلك الفوهة، ثم وضع عليها الحجر وغسل يديه ووجهه وخرج.

الشاب: حطيت الحجر مكانه؟

طارق: آه بتاع الحمام بس بتاع الغسيل لأ.

الشاب: غطيه؛ لأن الميّه هتروح لو ما اتغطاش بالحجر وهتتحاكم بالإهمال.

تعجب طارق ودخل مسرعًا وأنجز تلك المهمة، وفيما هو خارج قال للشاب:

- طيب الباب ملوش مفتاح ولا ترباس حتى!! أقفله كده وأمشي؟

الشاب: كل بيوت الجزيرة كده، واللي بيسرق بيتعرف في نفس اليوم وبيتحاكم في نفس اليوم.

طارق: كويس جدًا الكلام ده.

الشاب: ماتقلقش مفيش أحسن من الأمن والأمان في جزيرتنا.

الشاب: عاش حاكمنا.

طارق: عاش حاكمنا العادل.

الشاب: يلا بينا نروح الحفلة بتاعتك.

طارق: يلا بينا.

ذهب الشاب وطارق إلى الحفل المقام على شرفه، ووجد طارق

الحكيم ماندي يتوسط الاحتفال وقام وهلل وقال:

– أهلًا بابننا طارق اللي نجاه حاكمنا الجليل من العقاب، ووهبه حياة جديدة، عاش حاكمنا.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

وما إن جلس طارق حتى بدأت مراسم الاحتفال وبدأت الآلآت الموسيقية عزفها الذي كان يشبه طبول الأفارقة، وتوسط المجتمعين رجل ظهرت عليه صفات الفنانين من الوهلة الأولى؛ حيث صعد على مكان عالٍ مخصص له وبدأ في الغناء وقال:

إن جزيرتنا بلا حاكمها كجسد ميت مرذول

وكل حلاوة رونقها بالتأكيد من هذا الزول

وإن غادرها حاكمها تصير كقارب محلول

عاش حاكمنا وحامينا من الشيطان والمجهول

وإن كان السلام شعارنا فحاكمنا بالسلام يقول

جلس طارق يتأمل الغناء ومحوره هذا الحاكم المجهول، ولم يتحدث وجلس ينصت لهؤلاء القوم الذين لم يعلم شيئا عنهم

سوى أقل القليل. وبعد انتهاء الغناء أحضروا بعض الطعام البحري وشربوا مشروبا غريبا لم يشربه من قبل؛ امتزج طعمه بالحلو مع الحريف كما لو كان مشروب زنجبيل، ولكن كان لونه يميل للحمرة أكثر، وبعد أن تحدثوا معه قليلًا في بعض الأمور العامة مال عليه الحكيم وقال له:

- من الصباح الباكر ستكون ساندي هي المعلم لك وليس آخر.

فنظر لها نظرة تنم عن المجهولات الكثيرة التي يريد أن يعرفها، وطمأنته بابتسامة تصحب نظرتها بإمعان له، ثم قاموا وانصرفوا كلٌّ إلى مكانه ليبيتوا ليلتهم.

وفي الصباح هم طارق كي يستعد للقاء ساندي معلمته ومرشدته في ذاك المكان الغريب كلية، وما إن خرج من بيته المتواضع حتى وجد ساندي تنتظره في الناحية المقابلة فلوّح لها فابتسمت وأشارت له أن يقابلها عند تقاطع الطريقين المتقابلين اللذين كان يفصل بينهما نهر من الماء. ذهب طارق للتقاطع وتقابل مع ساندي.

طارق: صباحك منير.

ساندي: صباحك منير بحاكمنا البصير.

طارق: أنا مش فاهم أي حاجة في أي حاجة، وعاوزك تشرحيلي كلّ حاجة أسأل عنها أو ما أسألش عنها.

ساندي: لازم تسأل علشان أجاوبك.

طارق: ربنا يقويني بقى، طيب أبدأ أسأل اِمتى؟

ساندي: لما أعرّفك جغرافية الجزيرة وتاريخها.

طارق: تمام اتفضلي.

ساندي: الأول نفطر وبعدين نتكلم.

طارق: تمام برضو ماشي، بس أنا مستعجل عاوز أعرف كل حاجة عن الجزيرة.

ساندي: نفطر وبعدين نتكلم.

فذهب طارق وساندي إلى مقر احتفال أمس ووجدا الإفطار جاهزًا، ولكن بكميات بسيطة وبجوارها كميات كبيرة، ومكتوب جوارهما على لافته: "أنت صاحب القرار وعليك الاختيار".

وما إن جلس كلاهما حتى نصحته ساندي بأن يأكل الكمية القليلة فسألها طارق عن السبب فقالت له:

- كُل وبعدين أفهّمك.

وبعد أن تناولا فطورهما شربا هذا المشروب الغريب وذهبا معًا فى طريق الجزيرة بجوار النهر وتحت الأشجار.

ساندي: شوف يااااا...

طارق: اسمي طارق.

ساندي: شوف يا طارق، عمر الجزيرة حوالي ألف سنة، ويرجع سر عمرها الطويل لحاجتين: أول حاجة إنها عايمة على المياه زي السفينة، وتاني حاجة هو ظهورها واختفاءها على مدار الشهر القمري.

طارق: ازاي ظهورها واختفاءها دي؟ مش فاهمها.

ساندي: الجزيرة في أول الشهر القمري وآخره بتختفي عن الأنظار، وحاولنا نفهم السر ما قدرناش، وكل اللي نعرفه هو إن الجزيرة بتظهر عند اكتمال القمر فقط، وتختفي في بقية مراحل اكتماله أو نقصانه وصعب الوصول إليها عن عمد وكل من وصلوا هنا وصلوا بالصدفة.

طارق: وازاي عرفتم إنها بتختفي؟ هو أنتم بتحسوا بحاجة في

الاختفاء والظهور؟

ساندي: لا، بس دا اللي ورثناه عن أجدادنا القدماء.

طارق: يعني مفيش كلام مؤكد؟

ساندي بنبرة غضب: كلام أجدادنا قانون ودستور ومصدّق عليه.

طارق: ماشي تمام.. كملي.

ساندي: الجزيرة لا تصدِّر شيئا ولا تستورد شيئا، وكل العلاقات مقطوعة بالعالم الخارجي ولا نعلم شيئا عن أي عالم آخر سوى الأساطير الموروثة.

طارق: مفيش هنا اتصالات أو نت أو أي شيء من هذا القبيل؟

ساندي: أنا مش فاهمة أنت بتتكلم عن إيه، إيه الحاجات اللي بتقول عليها دي؟

طارق: لا ما تاخديش في بالك، طيب أنتو بتتكلموا لغة تانية غير اللغة العربية؟

ساندي: أجدادنا قالوا: إن جزيرتنا دي كانت جزء من دولة

المغرب وانفصلت عنها.

طارق: يعني أنتو عرب؟

ساندي: أصلنا عربي بس شعبنا اسمه الشعب الحر أو الفصيلة الحرة؛ لأنه غير مقيّد بمكان أو شروق أو غروب أو طقس، وكل معلوماتنا نعتمد على التراث والغزاة فقط.

طارق: غزاة!! غزاة ازاي وأنتو محدش بيعرف مكانكم على الخريطة؟

ساندي: من حوالي مائتان سنة كان فيه سفينة قراصنة بتمرّ من هنا ونزلوا واحتلّوا الجزيرة، ولما نزّلوا متاعهم ووقّفوا السفينة على الشاطئ وبعد إقامتهم هنا أسبوعين رجعوا الشاطئ مالقوش السفينة، ولما قرّروا يعيشوا معانا أذلونا واستعبدونا إلى أن صمموا بيت الحاكم العظيم.

فهتف طارق: عاش الحاكم العظيم.

ساندي: عاش الحاكم العظيم الحكيم.

ثم أكملت حديثها:

- ولولا الحاكم كنا هلكنا؛ هو الوحيد العادل على جزيرتنا.

وعاش القراصنة حوالي خمسة عشر عامًا وبالصدفة وجدوا سفينتهم على الشاطئ مرة أخرى وركبوها ورفض الحاكم لحبه في الجزيرة إنه يغادر وقاعد في قصره حتى الآن وبيحكم جزيرتنا بالعدل ويغمرها بالسلام، وكان التنبيه من القراصنة وهما بيغادروا إن الحاكم أمرهم أن يهتفوا باسمه كل يوم وفي الصباح والمساء لنيل رضاه، والبيت ده صمموه بعد وجودهم بسنة تقريبًا، وكان الحاكم واحد منهم وفِضِل في البيت ورفض الرحيل معاهم؛ ودا من حبه لينا ورفضه حياة القراصنة اللعينة المبنية على الغدر والخيانة، وكان القراصنة الوحيدين المعفيين من المحاكمة مقابل إنهم صمموا بيت الحاكم واحنا ساعدناهم في ده لكن مانعرفش أسراره الداخلية إيه.

طارق: طيب والحاكم عايش ازاي؟ وبياكل وبيشرب ازاي؟

ساندي: محدش يعرف بياكل ازاي وبيشرب ازاي، ولا هو بيخرج اِمتى وبيدخل اِمتى ولا عمر حد شافه قبل كده.

طارق: يعني كل معاملتكم مع الحاكم من خلال المحاكمه فقط؟

ساندي: أيوه مظبوط، بس حكمته وعلمه بالخفايا يحسسك إنه ساحر أو روحاني.

طارق: تمام، كملي.

ساندي: أما بقى بالنسبة لقوانين الجزيرة اللي توارثناها من خلال القراصنة اللي أعطاها ليهم الحاكم:

١- لا تسب الحاكم.

٢- لا تخالف الحاكم.

٣- لا تصنع مخالفات تغضب الحاكم.

٤- حكّم ضميرك.

٥- لا تدخل دون إذن دارَ غيرك.

٦- من يخرج من الجزيرة أكثر من مرتين لأى سبب يُقتل في الثالثة بلا محاكمات.

٧- حكم الحاكم غير قابل للنقض والاعتراض.

٨- من يهمل عمله يحاكم فورًا.

٩- لكل شخص ضريبة عمَّا لديه؛ ذهب فقط، وتوضع للحاكم في صندوق المال.

١٠- الهتاف للحاكم في كل وقت وأي مكان.

ومن يخالف هذه الوصايا العشر يُحاكم فورًا.

طارق: بس كده؟

ساندي: أيوه.

طارق: القوانين دي مين اللي وضعها؟

ساندي: يقال إن الحاكم أملاها على القراصنة.

طارق: الكلام ده من متين سنة عايشين عليه؟

ساندي: أيوه.

طارق: والحاكم عايش كل ده إزاى يعنى مش فاهم ؟
تردساندى بحزم شديد

ساندى : الحجات دى مش من حقك ولا من حق حد يسأل فيها.. فاهم ؟

طارق : حاضر فاهم.. فاهم

طارق: والجواز والطلاق والمشاكل الأسرية؟

ساندي: والدي الحكيم ماندي بيحاول يحلها، ولو ما اتحلتش بنروح للحاكم.

طارق: طيب والبيوت مفيهاش أقفال للأبواب ليه؟

ساندي: دا طلب الحاكم ودا علشان الكل يكون عارف إن فيه أمن وأمان.

طارق: طيب والبيوت متقسمة ثلاثة أشكال فقط، إيه السبب؟

ساندي: منازل العزاب ومنازل العذارى ومنازل الأزواج، ومايصحش يكونوا جنب بعض؛ العزاب في مكان والعذارى في مكان والأزواج في مكان.

طارق: ولو حد راح مكان غير المخصص ليه من البيوت؟ يعني أنا مثلًا رحت ناحية بيوت العذارى بالخطأ؟

ساندي: تتحاكم فورًا بلا مقدمات، والحاكم هيعرف نواياك وهيحكم عليك.

طارق: طيب إيه هي الحالة الوحيدة اللي أشوف بيها الحاكم؟

ساندي: مفيش حد بيشوف حاكمنا العظيم.

طارق: عاش الحاكم العظيم.

ساندي: عاش الحاكم العظيم الحكيم.

طارق: طيب والعزاب بيروحوا بيوتهم من سن كام؟

ساندي: لما بيوصلوا سن الخمسة عشر عاما بيحصل إن الذكور بتسكن بيوت العزاب والبنات بتسكن بيوت العذارى، ولما يجي وقت الجواز كل اتنين يسكنوا وسط بيوت الأزواج.

طارق: تمام، طيب بيكون فيه تعامل قبل الزواج وبيتعرفوا على بعض؟

ساندي: لو أحبّ شاب فتاة بيروح للحكيم ويطلبها منه دون تردد والحكيم بياخد رأيها، ولو وافقت بيبارك الجواز ولو ما وافقتش بيرفض العريس، والفتاة ممكن تربط الجواز لسن معين يعني أنا مثلًا طلبت من والدي أتجوز في سن الخمسة وعشرين، واحترم رغبتي وقفل باب التقدم لِيّا بالنسبة للشباب. وخلاص قربت من سن جوازي.

طارق: طيب وإنتي رفضتي الجواز ليه؟

ساندي: لأن أنا ماليش إخوات صبيان، ولازم الحكيم اللي بعد والدي يكون زوجي وأنا مش لاقيه حد مناسب يكون الحكيم بعد والدي.

طارق: هو لازم الحكيم يكون من نفس العيلة؟

ساندي: دا قرار الحكيم اللي نفذوه أجدادي ووالدي من بعدهم ولما والدتي اتوفّت بابا ما اتجوزش تاني والحكيم اللي جاي هو زوجي.

طارق: وافرضي لا قدر الله ما اتجوزتيش؟

ساندي: لازم أتجوز علشان يكون الحكيم مننا ولو مت قبل والدي لازم والدي يجوزني لحد بعد موتي ودفني على الورق طبعًا، وشرط الجواز إنه ما يتجوزش تاني للأبد؛ لأن الحكيم بيتجوز مرة واحدة بس في حياته.

طارق: حاجة غريبة فعلًا!! على العموم أتمنّى ليكي السعادة من كل قلبي.

قالت ساندي وقد بدا عليها الإرهاق:

– طيب كده كويس جدًا النهارده اللي عرفته واتعلمته، نكمّل بكرة الباقي.

طارق في لهفة:

– اِستني أنا عندي حاجات كتير عاوز أسأل عنها.

ساندي: الشمس قرّبت تغيب، وخلي بالك ممنوع عازب وعذراء يقعدوا مع بعض تحت ضوء القمر؛ محرر القلوب وواضع المحبة فيها، وممنوع حتى السير غير في أماكن محددة للأفراد.

طارق: دي حاجة جديدة ماعرفهاش، شوفتي؟

ساندي: بكرة تعرف كل حاجة وتتعلمها.

طارق: بكرة بكرة ولا الفترة اللي جاية؟

ساندي: لا الفترة اللي جاية.

وقامت ساندي مسرعة على عجل وكأن الأرض ستنفجر بالنيران من تحت قدميها وتلتهمهما سويًا، وقام طارق وتوجّه ناحية بيته في رقعة العزاب ودخل ووجد طعاما موضوعا ومغطى بأوراق الشجر، بينما صوت الماء يتدفق تحت الصخرة الموضوعة بجوار الحائط الداخلي؛ فأكل وشرب الماء وبات ليلته يفكر ويراجع كلّ ما سمعه من ساندي ويحضّر أسئلة جديدة كي يلقيها عليها في الصباح.

وفي الصباح قام من نومه في شوق ولهفة على غير العادة مشتاقًا للحديث مع تلك الفتاة التي لا يعرفها من فترة كبيرة، لكن الأزمة

التي تعرف عليها فيها صارت كالنار التي تصفي الذهب، فأكل وشرب الماء وتوجه إلى مكان جلسته بالأمس فلم يجدها؛ فانتابه القلق وفكر أن يذهب للسؤال عنها فخاف أن يقع في مصيبة أخرى من تلك الجزيرة التي لا يعرف لها شرقا ولا غربا.

وفيما هو يفكر إذ به يسمع وقع صوت أقدام على أوراق الشجر التي لفظت أنفاسها وصارت تنادي بآخر أنفاسها إنها تتحطم بالأقدام، وفيما هو ينظر ناحية الصوت إذ به يرى ساندي مقبلة على مهل ناحيته وكأنها موظف مغلوب على أمره يحاول أن يمضي يومه ولا يهتم بالثمار قدر الروتين، فقام ومد يده لمصافحتها لكنها لم تمد له يدها فقالت له:

ساندي: صباحك منير.

طارق: صباحك منير بحاكمنا البصير.

ساندي: اتفضل اقعد.

طارق ملبيًا وهو يهز رأسه بالإيجاب:

- حاضر، حاضر، خير فيه حاجة؟

ساندي: هو فيه إيه؟ أنت متوقع آجي آخدك بالحضن مثلًا؟

طارق: لا طبعًا ما أقصدش. مش قصدي كده خالص.

تعمدت ساندي التأخير و هذا التصرف عندما وجدت طارق بدأ يتعلق بها وخوفًا من الوقوع في حبه، تلك التي أحبّته ولم تكن تعلم كمن يلدغه أفعى ولا يشعر بالسم إلا عندما يصل لمقصده ويكون غالبًا بعد فوات الأوان.

قالت ساندي في حزم وجدية لم يعهدها طارق بالأمس:

- عاوز تسأل على إيه النهارده؟

طارق: عندي أسئلة كتير هتاخد من وقتك.

ساندي: بكرة مش هنتقابل علشان فيه محاكمات ولازم كل الشعب يحضرها بلا أي أعذار سوى المرض الشديد أو الولادة أثناء المحاكمة.

طارق: بمناسبة المحاكمات، هِيّا المحاكمات ليها معاد؟

ساندي: بتكون المحاكمة في صباح اليوم التالي عند غياب القمر ملهم الحب؛ لأن قلب الحاكم بيتأثر بيه.

طارق: عاش الحاكم العادل.

ساندي: عاش حاكمنا العادل.

طارق: طيب كنت حابب أسأل عن المياه اللي بتسري في الجزيرة جاية منين ورايحة فين؟ وإيه سر إن الميّه تجف لو شيلنا الحجر من عليها كتير؟

ساندي: دا سر من أسرار الجزيرة وله علاقة بالجاذبية والثبات بالنسبة لقاع البحر؛ لما بتشيل الحجر من فوق مجرى المياه بتخف القشرة اللي ماشي فيها الميه وبتجف، ولازم نحطّ الحجر فترة كبيرة علشان الميه ترجع تاني لوضعها، يعني لولا الحجارة الموجودة كانت كل الميه جفت والنهر جف، ومع كل مولود يكبر الميه بتزيد ومع كل وفاة تحصل الميه بتقلّ.

طارق: طيب بتيجي منين؟ وبتصب فين؟

ساندي: بتيجي من باطن الجزيرة وبترجع لباطن الجزيرة.

طارق: دي معجزة أول مرة أسمع عنها.

ساندي: الجزيرة كلها معجزة وغريبة الأطوار؛ لأنها بتظهر وبتختفي والميه العذبة بتيجي من قلبها في حين هِيّا في قلب الميه المالحة، وبتلفّ العالم من غير ما حد يشوفها غير اللي هيا عاوزه

تظهرله.

طارق: طيب الجزيرة بتكفيكم أكل وشرب؟

ساندي: أيوه الميه أنت عرفت قصتها، أما الأكل احنا أَكْلنا قليل جدًا؛ لأن الحاكم بيقتل أي حد وزنه مبالغ فيه بلا أي شفقة أو حتى سماع اتهامات بمجرد صعوده على المنصة إما يموت بلا رجوع أو نلاقيه على الشاطئ بعد الغرق في الماء.

طارق: هو إيه ده؟ هو فيه كده؟ يعني حد عنده خلل في هرمون معين يسببله زيادة في الوزن يموت بدون ذنب؟ ازاي بس؟ دا حرام.

بدا التوتر على ساندي وقالت:

– عاش الحاكم العادل.

طارق: عاش حاكمنا العادل.

طارق: أنا ما أقصدش حاجة أنا قصدي إن المفروض حد يوضحله إن المريض مُعفَى من القانون ده.

ساندي: دي قوانينا واحنا راضيين بيها وأنت كذلك لازم ترضى.

طارق: طبعًا طبعًا عاش الحاكم العادل.

قالها طارق وهو ثابت النظر وكأنه في عالم آخر ويفكر في شيء آخر وكأنه يمرر الوقت كما تحب ساندي أن يكون.

ساندي: عاش حاكمنا العادل

طارق: طيب اللي بيموت بتدفنوه فين؟

ساندي: بنلفّه بأوراق شجرة معينة ونحطه على الشاطئ والميه بتسحبه في أمان وهدوء أثناء الليل.

طارق:إنتي كنتي قولتليلي إن الناس بتدفع ضريبة دهب عن اللي عندها بتجيبوا الدهب منين وبتدفعوه ازاي؟

ساندي: كل واحد ليه عمل هنا زي الزراعة والصيد وصناعة البيوت وصناعة الخشب وبيع الفواكه وتصميم مجاري المياه والأمن والحراسة والزراعة وبنستخرج الذهب من الشاطئ

طارق: ازاي بتلاقوا الدهب على الشاطئ؟

ساندي: الرمل بتاع الشاطئ مليان معادن؛ دهب وفضة وحديد وأحيانًا لؤلؤ، وبنستخرج من مية البحر كمان نسبة من الدهب، وتقريبًا ربع شعب الجزيرة شغّال فيه بالوراثة برضو، بس بآلات

بدائية ورثناها من أجداد الأجداد، وكل جيل بيتطور بتطور الأيام، واللي بيستخرجه العمال بياخدوا نصه والباقي بياخده بقية الشعب بالتساوي، بالإضافة للحكيم والحرس.

طارق: والحاكم مش بياخد غير دهب بس؟

ساندي: أيوه.

طارق: وبتدفعوا الدهب ازاي طول الأسبوع؟

ساندي: كل محاكمة لازم ندفع سدس الدهب اللي في حوزتنا؟

طارق: وافرضي أنا خبيت وما دفعتش سدس اللي معايا وكدبت؟

ساندي بكل ثقة:

- ههههههه، ماتقدرش؛ لأن الحاكم في أول محاكمة ليك هيحكم عليك بالإعدام من غير سماع أقوال.

طارق: طيب بتدفعوها ازاي؟

ساندي: كل واحد بيدفع اللي عليه في صندوق المال جنب بيت الحاكم.

طارق: عاش الحاكم.

ساندي: عاش حاكمنا العادل.

طارق: طيب وباقي المعادن واللؤلؤ بتعملوا بيهم إيه؟

ساندي: بنبيع ونشتري بين بعض بيه، وفيه واحد مخصوص للتقدير والتغيير والبيع والشراء.

طارق: طيب أاا...

ساندي: كفاية كده، نروّح ونتقابل بعد بكرة علشان المحاكمات بكرة.

طارق: طيب أنا لازم أحضر؟

ساندي: أكيد أنت من الشعب.

طارق: بس أنا معنديش دهب أدفع منه؟

ساندي: ماتقلقش والدي هيدفعلك.

فبدت على طارق الدهشة.

ساندي: والدي خلاص بيعتبرك زي ابنه.

طارق: دا شرف لِيّا طبعًا إني أكون ابن حكيم الجزيرة، إلّا بالحق،

اسم الجزيرة إيه؟

ساندي: اسمها ساندي.

طارق: ساندي!! على اسمك؟

ساندي: قصدك اسمي على اسمها.

طارق: مش هاتفرق المهم إنكوا أنتو الاتنين نفس الاسم.

ساندي: يلا نقوم الوقت هيسرقنا وبكرة اليوم طويل.

طارق: ربنا يسترها بكرة عاوز أشوف هيحصل إيه.

ساندي: ماتستعجلش، بكرة تشوف أنت بقيت واحد مننا.

وقاما وذهبا كلٌّ إلى سكناه، واستعد طارق للنوم كي يكون في كامل تركيزه في الصباح كي يرى كل ما سيحدث.

وفي الصباح قام طارق مبكرًا وتوجه إلى خارج منزله ووجد الشباب الساكنين حوله يتجمعون كي يتجهوا إلى منزل الحاكم ليحضروا المحاكمة، فسألهم عن مكان الحكيم ماندي فأبلغوه أنه في طريقه لمنزل الحاكم وسيمشون خلفه وهو ذاهب للمحاكمة، فذهب معهم طارق حيث هم ذاهبون، وعند تجمعهم أمام منزل

الحكيم ماندي توجه طارق إلى الحكيم ماندي وهو يهتف وجميع شعب الجزيرة بحياة الحاكم وأخذه جانبًا وقال له:

- سيدي الحكيم، ساندي أبلغتني إنك هتدفعلي الدهب نيابة عني، أنا خايف تنسى والحاكم يغضب عليا.

ماندي: ماتخافش يا ابني أنا فاكر ومش ناسي، أنت زي ابني وابقى ردهملي لما تعرف الشغل وطريقة الحصول على الدهب.

طارق: ألف شكر ليك يا والدي.

فقال ماندي في وجه طارق وهو مبتسم بصوت عالٍ:

- عاش الحاكم.

فرد عليه الشعب ومعهم طارق:

- عاش حاكمنا العادل.

واتجه جميع الشعب وعلى رأسهم الحكيم ماندي والمذنبون ناحية بيت الحاكم، وبمجرد وصولهم وقف الشعب في كل أنحاء المكان بخلاف المنصة ومكان الحكيم ماندي والمنصة الكبيرة، وجاؤوا بالمذنبين وكانوا؛ سيدة في سن الأربعين وشابة مراهقة ورجلين في سن الخمسين تقريبًا، وخلعوا ملابس الرجال الخارجية وقيدوا

أيديهم خلف ظهورهم، أما النساء فظلوا بملابسهن، ولكن قيدت أيديهن خلف رقابهن، ثم أدخلوا أول رجل وجعلوه راكعًا على الأرض والبقية من المذنبين خلفه واقفين ورؤوسهم منحنية للأسفل، وبدأت مقدمة الحكيم ماندي كالعادة:

- سيدي الحاكم وسيد جزيرتنا ومجرى العدل من حضارتنا، يا من تحمينا بالقانون وتقوينا بعدلك، جئنا لتتصدق علينا بفضلك وتحكم لنا حسب مشيئتك ورشدك. سيدي وسيد جزيرتنا جئنا إليك لتنير بصيرتنا.

والآن انتهت مقدمتي وسأتحدث في أول قضية لنا اليوم: هذا الرجل خادمك وعبدك ارتكب شيئًا ولابد أن تعلمه وهو أنه سرق بعض الطعام من زوجته المسكينة التي جاءت كي تشكوه وتشكو جرمه الذي تكرر مرارًا وتكرارًا، ولكنها احتملت سنينًا كثيرة ولم تتكلم إلا بعد أن ضربها وأهانها بحجة أنها خانته مع رجل آخر، ونظرًا لاتهامه فقد أحضرناهم مذنبين أيضًا بعد تلك القضية تباعًا، وهذا بدوري حكيم الجزيرة وخادم سيدي الحاكم.

ثم قال ماندي بصوت عالٍ: عاش الحاكم.

فنطق الشعب: عاش الحاكم العادل.

وأكمل ماندي قائلًا:

- وها هو بين يديك ينتظر حكمك وحكمتك واختيارك لمصيره، وكما عودتنا سيقف ويحكي ما عنده ثم يعتلي منصة الحكم وأنت من يقرر سيدي الحاكم. عاش الحاكم.

فرد الشعب: عاش الحاكم العادل.

وهنا أوقف الشباب الرجل ووقف في مكانه ثم أمره ماندي أن يتكلم

فقال الرجل الأول: سيدي الحاكم.

فهتف الشعب: عاش حاكمنا العادل.

الرجل الأول: لقد عشت بكل الحب مع زوجتي ولم أقصر معها يومًا، وعندما بدأت تبتعد بقلبها عني وعندما وجدتُ آثارًا لرجل آخر غريب في بيتي وواجهتها أنكرتْ فمددتُ يدي عليها، وقبل أن أخبر الحكيم ماندي ذهبت هى أولاً قبل أن أصل إليه وابتكرت قصة أنني آكل طعامها وهذا لم يحدث طيلة حياتي، ولك كل الأمر في أمري سيدي وسيد الجزيرة سيدي الحاكم.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ماندي: عاش قائدنا الحاكم.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل.

ماندي: سيدي وسيد قومي ومالك جزيرتنا الهمام وحامي شعبنا من الفتن والمكائد. لك كل الأمر يا سيدي إن عفوت عنه صار منا وإن لم تعف عنه فليتقبل حكمك بلا تراجع أو حتى دفاع.

والآن سيدي الحاكم العادل.

الشعب: عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ماندي: والآن يا سيدي سيصعد المتهم كي تتعطف عليه وتحكم حكمك العادل عليه.

وأمسك الحكيم ماندي بيد الرجل الأول الموثوقة وحل وثاقها وقدمه أمامه حتى أوقفه على منصة الحكم المخصصة للنطق بالحكم، وتقدم الرجل ووقف على المنصة وانتظر النطق ونظر للأعلى فوجد رايةً بيضاء ارتفعت فوق المبنى ومضت دقيقة ولم يتكلم أحد وهلل كل أهل الجزيرة.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ثم أصعدوا الرجل الثاني بنفس الكيفية ونفس المقدمة المعتادة من الحكيم ماندي ثم أعطى الحكيم ماندي الإذن للرجل الثاني بالكلام

الرجل الثاني: سيدي الحاكم.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

الرجل الثاني: سيدي الحاكم، هذ الاتهام باطل وليس صحيحًا؛ فأنا لم أعرف طريقًا لتلك المرأة فأنا أحب زوجتي وأولادي ولم أَخُن في حياتي

ولك كل الأمر في أمري سيدي وسيد الجزيرة سيدي الحاكم.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ماندي: عاش قائدنا الحاكم.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل.

ماندي: سيدي وسيد قومي ومالك جزيرتنا الهمام وحامي شعبنا من الفتن والمكائد، لك كل الأمر يا سيدي إن عفوت عنه صار منا وإن لم تعفُ عنه فليتقبل حكمك بلا تراجع أو حتى دفاع.

والآن سيدي الحاكم العادل.

الشعب: عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ماندي: والآن يا سيدي سيصعد المتهم كي تتعطف عليه وتحكم حكمك العادل عليه.

وأمسك الحكيم ماندي بيد الرجل الثاني الموثوقة وحل وثاقها وقدمه أمامه حتى أوقفه على منصة الحكم المخصصة للنطق بالحكم، وتقدم الرجل الثاني ووقف على المنصة وانتظر النطق ونظر للأعلى فوجد راية حمراء ارتفعت فوق المبنى، وفُتح باب المنصة التي يعتليها ذاك الرجل وسقط وهو يصرخ صرخات مرعبة حتى تلاشى أثره وأقفل الباب مرة أخرى وانخفضت الراية الحمراء، وهنا ذهل طارق من هول ما رأى وصُدمت عيناه من ذاك المشهد.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ولم تصرخ زوجته ولا أولاده ولا صدر أي اعتراض من الموجودين، ثم صرخت المرأة زوجة الرجل الأول وأحضرها الشباب للمنصة بالقوة وجعلوها تسجد في الأرض وهي تبكي مكبلة الأيدي والأقدام، وبدأ ماندي مقدمته وحان دورها في الكلام فأذن لها ماندي.

المرأة: سيدي الحاكم.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

المرأة: أنا مظلومة، أنا لم أعرف رجلًا غير زوجي وهذا الذي رحل لم أتحدث معه مرة في حياتي، ولك كل الأمر في أمري سيدي وسيد الجزيرة سيدي الحاكم.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ماندي: عاش قائدنا الحاكم.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل.

ماندي: سيدي وسيد قومي ومالك جزيرتنا الهمام وحامي شعبنا من الفتن والمكائد، لك كل الأمر يا سيدي إن عفوت عنها صارت منا وإن لم تعفُ عنها فلتتقبل حكمك بلا تراجع أو حتى دفاع.

والآن سيدي الحاكم العادل.

الشعب: عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ماندي: والآن يا سيدي ستصعد المتهمة كي تتعطف عليها وتحكم حكمك العادل عليها.

وأمسك الحكيم ماندي بيد المرأة الموثوقة وحل وثاقها وقدمها أمامه حتى أوقفها على منصة الحكم المخصصة للنطق بالحكم، وتقدمت المرأة ووقفت على المنصة وانتظرت النطق ونظرت للأعلى فوجدت راية حمراء ارتفعت فوق المبنى، وفُتح باب المنصة التي تعتليها مرة أخرى وسقطت بلا أي مقدمات وهي تبكي بصراخ، وأقفل الباب مرة أخرى وانخفضت الراية الحمراء وكاد طارق أن يحترق مكانه من تلك الأحداث والرؤى.

ثم أحضروا الفتاة المراهقة وجعلوها ساجدة كبقية من سبقوها

ثم وقف الحكيم ماندي بجوارها على المنصة الكبيرة ثم بدأ مقدمته التي صارت ثقيلة على قلب طارق من كثرة التكرار.

الحكيم ماندي: سيدي الحاكم وسيد جزيرتنا ومجرى العدل من حضارتنا يا من تحمينا بالقانون وتقوينا بعدلك جئنا لتتصدق علينا بفضلك وتحكم لنا حسب مشيئتك ورشدك. سيدي وسيد جزيرتنا جئنا إليك لتنير بصيرتنا.

والآن انتهت مقدمتي وسأتحدث في القضية الثالثة وآخر قضية لنا اليوم:

تلك الفتاة الماثلة في خضوع أمام سموك الكريم تم القبض عليها من شباب الجزيرة وهي تتمشى بين منازل العزاب في ضوء القمر، وها هي بين يديك تنتظر حكمك وحكمتك واختيارك لمصيرها وكما عودتنا ستقف وتحكي ما عندها ثم تعتلي منصة الحكم وأنت من يقرر سيدي الحاكم. وصرخ ماندي: عاش الحاكم.

فرد الشعب: عاش الحاكم العادل.

وهنا أوقف الشباب الفتاة ووقفت في مكانها ثم أمرها ماندي أن تتكلم

فقالت الفتاة: يا سيدي الحاكم.

فهتف الشعب عاش حاكمنا العادل.

أنا أُدعى سيمونا ابنة شيبانا العامل في الصيد في جزيرتنا المحبوبة، مرض والدي وذهبت آسفة في ضوء القمر إلى طبيب الجزيرة ولا طريق لديّ سوى بين منازل العزاب، وما إن مررت فيه حتى أطبق عليا الشباب الحارس وأخذوني للحكيم ماندي، ومات والدي للأسف في الصباح التالي وكنت أتمنى أن ألحق به وينجو بحياته من موت المرض.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ماندي: عاش قائدنا الحاكم.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل.

ماندي: سيدي وسيد قومي ومالك جزيرتنا الهمام وحامي شعبنا من الفتن والمكائد، لك كل الأمر يا سيدي إن عفوت عنها صارت منا وإن لم تعفُ عنها فلتتقبل حكمك بلا تراجع أو حتى دفاع.

والآن سيدي الحاكم العادل.

الشعب: عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ماندي: والآن يا سيدي ستصعد المتهمة كي تتعطف عليها وتحكم حكمك العادل عليها.

وأمسك الحكيم ماندي بيد الفتاة الموثوقة وحل وثاقها وقدمها وأوقفها على منصة الحكم المخصصة للنطق بالحكم، وتقدمت الفتاة ووقفت على المنصة وانتظرت النطق ونظرت للأعلى فوجدت راية بيضاء ارتفعت فوق المبنى ومضت دقيقة ولم يتكلم أحد وهلّل كل أهل الجزيرة.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

وانتهت كل المحاكمات واصطفّ الشعب واحدا تلو الآخر، الرجال يليهم السيدات والأطفال والمراهقون في جانب وحدهم، وأخذ ماندي طارق وجعله خلفه وذهب إلى صندوق بجوار منزل الحاكم به فوهة كبيرة ووضع يده فيها ورمى الذهب الخاص به وبابنته وبطارق أيضًا، وأشار لساندي بالخروج وأخذ طارق

وساندي وترك البقية يفعلون مثله، ثم ذهبوا إلى حفل يقام دائمًا بعد المحاكمات وكان نفس الحفل المقام لطارق من قبل.

وفي الحفل جلست أغلب أطياف الشعب وطلب الحكيم ماندي أن يجلس طارق بجواره، وأثناء الاحتفال دار حديث جانبي بين طارق وماندي.

ماندي: إيه الأخبار يا قبطان؟

طارق: الحمد لله والشكر لله.

ماندي: استفدت حاجة من فترة التعليم مع ساندي؟

طارق: أيوه طبعًا عرفت حاجات كتير وسمعت حاجات غريبة كتير.

ماندي: طيب هسألك سؤال يا ابني؟

طارق: اتفضل اسأل؟

ماندي: أنت ناوي تعمل إيه في الجزيرة؟

طارق: للأسف أنا تايه ومش عارف هاعمل إيه.

ماندي: عاوزك تعرف إن خروجك لو ما كانش بمعجزة يبقى

مستحيل وعلشان كده عاوزك تقرر مصيرك.

طارق: أنا معنديش مصير ولا مستقبل، أنا اتحكم عليا بالنفي مدى الحياة هنا، تِنصحني بإيه؟

ماندي: شوف يا ابني، أنت كنت قبطان يعني حكيم السفينة ولازم تكون حكيم الجزيرة من بعدي؛ لأنك أحق واحد لعلمك ومعرفتك بالعالم الآخر.

طارق: أاا... أاا... أنت الخير والبركة يا عمي البركة فيك.

ماندي: أنا خلاص كبرت وأهل الجزيرة عاوزين حكيم من بعدي وأنا قررت. ثم قام وسط الاحتفال وأمر الجميع بالصمت وقال ماندي بصوت عالٍ:

- الربان طارق هيتجوز ساندي بنتي وهيكون حكيم الجزيرة من بعدي.

فهلل كل الحاضرين بلا استثناء، أما طارق وساندي كأن على رأسيهما الطير، وكانت المفاجأة مذهلة لكليهما.

وما إن وقف طارق حتى أقبل الجميع عليه يقبّل كتفيه ويده وهو في ذهول لم يمر به من قبل، وساندي حضرت لها النساء وقبّلت

وجنتيها وأنفها؛ تلك عاداتهم وتقاليدهم، ثم أكمل ماندي:

- الفرح بعد شهر، جهزوا بيتا يليق بحكيمكم المقبل.

فهلل كل الحاضرين وباركوا الزيجة، وما إن غابت الشمس حتى رحل الجميع كلٌّ إلى مسكنه.

بات طارق ليله يفكر في ما حدث وكيف ومتى وهو يتعجب من الأحداث التي تمر به. أما ساندي فكانت وحدها في غاية السعادة قلبها يرقص فرحًا عكس ما كانت تُظهر أمام والدها وطارق وبقية الشعب، وذلك خجلًا أولًا ثم تقديرًا لذاتها أمام طارق كي لا يعرف أنها تحبه وتهواه فيستغلّ هذا ضدها، وفي تلك الليلة لم يخرج طارق ولا ساندي من مسكنيهما، وهذا قد يكون ارتباكًا أو لتلابس الأحداث أو توجيه الشعور أو بمعنى أدق إيضاح الخفايا عند كليهما جعلهما كالعرايا قلوبًا أمام أعين المارة.

الفصل الخامس

وفي الصباح ظلّ طارق في فراشه إلى ان أتى إليه أحد الشباب ونادى عليه من خلف الجدار قائلًا:

الشاب: يا ربان.

طارق: أيوه حاضر.

ثم خرج مرحِّبًا بالشاب فقبّل الشاب يده قائلًا:

- صباحك منير سيدي الربان.

طارق: صباحك منير بحاكمنا البصير.

الشاب: سيدي الحكيم يدعوك للإفطار.

طارق: حاضر جاي حالًا.

وغسل طارق يديه ووجهه وذهب معه إلى الحكيم.

طارق: صباحك منير يا عمي.

وقبّل يديه.

ماندي: صباحك منير بحاكمنا البصير يا ابني.

طارق: أؤمرني؟

ماندي: اِتأخرت ليه؟

طارق: أبدًا أنا يادوب صحيت جالي الأخ.

وأشار على الشاب الذي ذهب إليه.

ماندي: طيب لازم تعرف إن الحكيم أول واحد يقوم في الصباح وآخر واحد ينام في المساء.

طارق: تمام تمام البركة فيك يا عمي.

ماندي: وأنت كمان يا ابني لازم تعمل كده؛ أنت الحكيم المستقبلي.

طارق: ربنا يديلك طول العمر.

ماندي: دا الواقع والمصير. المهم لازم تكون أنت أول واحد يشوفني كل صباح وآخر واحد يودعني في المساء.

طارق: حاضر يا عمي، هِيّا فين ساندي؟

ماندي: ماعادش ينفع تشوفها غير بعد شهر.

طارق: ليه؟!

ماندي: علشان يدوم حبكو لازم تبعدوا قبل الفرح عن بعض بشهر، دي تقاليدنا وعاداتنا.

طارق: اللي تشوفه يا عمي.

ماندي: ودلوقتي نفطر ونقوم نشوف الجزيرة بالتفصيل.

طارق: تحت أمرك يا عمي.

وأمضى طارق يومه جالسًا بجوار الحكيم ماندي يتأمل الأحداث والشكاوى، وحكمة الحكيم ماندي في امتصاص غضب المجني عليه والحزم مع الجاني في القضايا الخلافية البسيطة التي لا تحتاج اللجوء للحاكم، وكان اللجوء للحاكم بمثابة العقاب المميت الذي يهرب الجميع منه، وفي المساء ترك طارق الحكيم في مسكنه وودّعه وذهب إلى مسكنه، ولما أصبح الصباح اتجه باكرًا إلى ماندي وأيقظه وتمشيا سويًا في الجزيرة وتعرف طارق على منابع الماء ومساقطه، وعلى كل موارد الجزيرة، وذهبا وتناولا الإفطار في مكانه المخصص، ثم قاما وأكملا تفقدهما للجزيرة وأثناء تفقد

الجزيرة وعلى بعد ما يقارب الكيلو متر خلف بيت الحاكم كان الشاطئ، فوقف ماندي من بعيد وقال:

- المكان ده محدش يقدر يدخله من الشعب، والمنطقة اللي هناك دي ممنوع حد يقترب منها لأي سبب، يعني أنا الحكيم آخر تجوالي هنا، إنما الاقتراب من المكان اللي عليه حبال وسور ده والشط ممنوع؛ دول ملك للحاكم واللي يقرب منهم لازم يموت وبدون محاكمة، يتربط ويترمي في البحر.

طارق: طيب هو أنت قابلت الحاكم قبل كده؟

ماندي: شوف يا ابني، أنا مقدرش أحاول أشوفه؛ لأن اللي بيحاول بيموت بلا محاكمة.

طارق: طيب خلاص ماشي اللي تشوفه.

ماندي: يلا بينا بقى نروح نشوف أشغالنا يا جناب الربان.

طارق: تحت أمرك يا عمي.

ماندي: أنت كده شوفت كل الجزيرة ومفيش حاجة تاني غايبة عنك.

طارق: لأ فيه.

ماندي: فاضل إيه؟ مفيش حاجة.

طارق: فيه بيت الحاكم والشط اللي هناك ده.

ماندي: اِوعدني إنك تنسى الكلام ده، عاوزك تعيش وتجيب حكيم من بنتي.

طارق: أوعدك طول ما أنت عايش أنا تحت طوعك.

ماندي: ولما أموت؟

طارق: هكون الحكيم بعدك وهعمل كل اللي في صالح الشعب والجزيرة.

ماندي: ربنا يريح قلبك يا ابني.

طارق: ويخليك لينا يا عمي.

وانصرفا ناحية وسط الجزيرة كي يتابعا أشغالهما؛ الحكيم والربان الذي سيكون الحكيم المستقبلي.

وأثناء راحة الحكيم وهو جالس بجوار طارق قال له:

- أنت كده شوفت كل الجزيرة ومن حقك تختار المكان اللي يعجبك لسببين: أولهم: إنك جوز بنت الحكيم، وثانيهم: إنك

الحكيم المستقبلي.

طارق وبدون تردد:

- أنا عجبني مكان.

ماندي: فين؟

طارق: خلف بيت الحاكم في المكان اللي وقفنا فيه آخر مرة.

ماندي: مستحيل، مستحيل؛ الحاكم يقتلك.

طارق: طيب عندي حل.

ماندي: قول يا ابني.

طارق: نادي بمحاكمة واعرض الأمر على الحاكم.

ماندي: يا ابني حرام عليك، الحاكم ما بيرحمش وممكن تموت.

طارق: وممكن يوافق.

ماندي: لا طبعًا، لأ، مش موافق.

طارق: أرجوك ريحني وأوعدك إني هوافق على حكمه أيًّا كان.

ماندي: يا ابني أنا بحبك وخايف عليك.

طارق: جرّب وماتخافش واعمل كل حاجة رسمي.

ماندي: خلاص بكرة نروح في الصباح ونعرض على الحاكم وهو في رأيه الصلاح.

طارق: عاش الحاكم.

ماندي: عاش حاكمنا العادل.

وأكمل طارق يومه مع الحكيم ماندي وفي المساء افترقا، وعند بزوغ الفجر ذهب طارق إلى ماندي وأيقظه وتناولا الإفطار سويًا، وبدأ ماندي يرتب لعرض الأمر على الحاكم وجمع الشعب وذهبوا كلهم يتقدمهم ماندي وطارق، ووقف طارق في المنصة الكبيرة وبجواره ماندي وساد الصمت وكانت ساندي حاضرة متخفية.

ماندي: يعيش الحاكم.

الشعب: يعيش حاكمنا العادل.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

ثم ساد الصمت كالعادة، وتقدم الحكيم ماندي خطوة للأمام

أمام طارق، وقال مخاطبًا الحاكم:

- سيدي الحاكم وسيد جزيرتنا ومجرى العدل من حضارتنا، يا من تحمينا بالقانون وتقوينا بعدلك جئنا لتتصدق علينا بفضلك وتحكم لنا حسب مشيئتك ورشدك. سيدي وسيد جزيرتنا جئنا إليك لتنير بصيرتنا ونأخذ رأيك.

والآن انتهت مقدمتي وسأتحدث في موضوع طرح قضيتنا:

طارق الربان الذي فقد سفينته وأتى جزيرتنا وعفوت عنه لكرمك وسمو عطفك بعد سماحك الشريف أن يكون ابن الجزيرة، أردتُ أن أعطيه ساندي ابنتي لإيجاد الخلف وعدم انقطاع نسلي، وكي يكون هو الحكيم بعدي وأولاده من بنتي من بعده، وطبعًا من حق الحكيم المقبل أن يختار مكان مسكنه، وطارق اختار المكان الخلفي لمنزلك بين قصرك الكريم وحدود الشط الممنوعة عليه طبعًا مهما حدث، وبدوري حكيم الجزيرة وخادم سيدي الحاكم لازم ناخد رأيك وتشملنا حكمتك.

ثم قال ماندي بصوت عالٍ: عاش الحاكم.

فنطق الشعب: عاش الحاكم العادل.

وأكمل ماندي قائلًا:

- وها هو بين يديك ينتظر حكمك وحكمتك واختيارك لمصيره، وكما عوّدتنا سيعتلي منصة الحكم الشريفة وأنت من يقرر سيدي الحاكم. عاش الحاكم.

فرد الشعب: عاش الحاكم العادل.

وكان طارق واقفًا وهو ينظر إلى الأرض وقال:

- لك كل الأمر في أمري سيدي وسيد الجزيرة سيدي الحاكم. عاش حاكمنا.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

ماندي: عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

ماندي: عاش قائدنا الحاكم.

الشعب: عاش قائدنا الحاكم العادل.

ماندي: سيدي وسيد قومي ومالك جزيرتنا الهمام وحامي شعبنا من الفتن والمكائد، لك كل الأمر يا سيدي، إن وافقت فهذا فرحٌ لنا

وإن لم توافق فأيضًا هذا فرح لنا، فانتصار إرادتك يسمو بنا.

والآن سيدي الحاكم العادل.

الشعب: عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

ماندي: والآن يا سيدي طارق بين يديك ينتظر مشورتك ورأيك.

وتقدم طارق ووقف على المنصة وانتظر رأى الحاكم ونظر للأعلى فوجد راية بيضاء ارتفعت فوق المبنى، وهذه موافقة رسمية على بناء طارق لبيته خلف بيت الحاكم.

وما إن إرتفعت الراية البيضاء حتى هلل ماندي وهلل كل الشعب فرحين، ونزل طارق من المنصة وقبّله الجميع مهنئين له بموقع منزله الجديد الذي لم يجرؤ أحد على اقتناء مكانه قبلًا.

رجع الجميع فرحين مهلّلين بهذه الجلسة الاستثنائية بخصوص الحاكم، واحتفلوا سويًا، وقطع الاحتفال صوت أحد الشباب ينادي على الحكيم ماندي:

- سيدي الحكيم.

ماندي: خير فيه إيه؟

الشاب: جثة المحكوم عليهم أول أمس على الشاطئ.

فذهل طارق وقام الحكيم ماندي وكل الشعب خلفه وطارق معه وذهبوا للشاطئ فوجدوا جثتي الرجل والمرأة وقد ظهر عليهما الضمور من الوجود في الماء، فوقف الجميع بلا حراك حوالي دقيقة تأبينًا لهما ثم لفوهما بأوراق الشجر وربطوهما جيداً وتركوهما للأمواج تأخذهما ورجعوا وكأن شيئًا لم يكن.

فسأل طارق الحكيم ماندي:

- هما مش اتعدموا عند بيت الحاكم؟ إيه اللي جابهم هنا؟

ماندي: الحاكم من رحمته بينا لما بينفّذ حكم بنعرفه بعدها بأيام؛ يعني مثلًا لو إعدام بيتِمّ وبعد أيام نلاقي المُعدَم هنا على الشط وأحيانًا سجن لمدة أسبوع مثلًا أو عشرة أيام من غير أكل وشرب وبنلاقي المسجون طالع من فوق الصخور اللي هناك دي، وبيخرجوا أغلبهم بيموتوا من شدة الجوع والمرض.

طارق: حاجة غريبة جدًا جدًا موضوع الأحكام والحاكم وتنفيذها.

ماندي: طول ما أنت هنا هتشوف كتير وتتعلم أكتر.

طارق: طيب يلا نروح بيتك؛ النهار بيروّح.

ماندي: هههههه، بدأت تبقى من أهل الجزيرة وبتتصرف زي الحكماء، يلا يا ابني.

طارق: تربيتك وتعليم ساندي يا عمي.

ماندي: شرف لِيّا يا حكيمنا المستقبلي.

وأوصل طارق ماندي إلى منزله وذهب إلى مسكنه، وبدأ يرتب أوراقه وهو على فراشه، ويهنئ نفسه بنجاح خطته التي لا يعلم عنها أحد شيء غيره وهي الاقتراب من هذا الحاكم الديكتاتوري الذي ألّهه كل شعب الجزيرة وصار متحكمًا في مصائرهم، وبات ليلته يفكر ويرتب ماذا سيفعل وماذا سيقول.

وفي الصباح قام مبكرًا وذهب لبيت الحكيم ماندي، ودخل إليه واصطحبه إلى مقر جلوسه وسط الجزيرة، وأرسل ماندي لإحضار عمال البناء وأخبرهم طارق بما يريد وما هي وجهة المنزل وتصميمه وكيفية بنائه ومساحته، وذهب معهم واختار المكان المناسب ورسم لهم الأبعاد والشكل وبدأ العمال بالحفر والبناء بناءً على تعليمات

طارق، واشترك أغلب أهل الجزيرة من الرجال معهم، وبعد مضي ما يقارب ثلاثة أسابيع انتهوا من البناء والتحضير بعد عمل متواصل.

الفصل السادس

وحضر الحكيم ماندي وبارك المنزل وحضرت ساندي التي اشتاقها طارق بصدق واشتاقته هي أيضًا بكل صدق، وبارك عليهما الحكيم ماندي وزوجهما ووقّع كبار الشيوخ على وثيقة زواجهما.

بعد ذلك ذهبوا للاحتفال في وسط الجزيرة وأقيم الاحتفال بفرح وابتهاج، وعند المساء رحل كلٌّ إلى مسكنه إلا طارق وساندي ذهبا إلى منزلهما الجديد الذي يقع في أثمن مكان خلف بيت الحاكم، وهذه المرة أوصلهما ماندي إلى هناك وقال لطارق:

– أنت أجازة بقى أسبوعين، والأكل هيجيلكم هنا الصبح وآخر النهار.

طارق: كتر خيرك يا عمي.

فقال ماندي بنبرة فكاهة:

– بعد كده تقولي يا والدي مفهوم.

طارق: مفهوم يا والدي، حاضر يا والدي.

ماندي: ربنا يخليك يا ابني ويخليلك ساندي وتجيبوا ولي العهد ليك من بعدي وبعدك.

طارق: تعيش يا والدي، طيب تعالَ اتفضّل.

ماندي: ازاي بقى روحوا اتهنوا وافرحوا، وعندكو الأكل والشرب جوه البيت وهديتكم على فراش الزوجية.

طارق: تعيش يا والدي.

فقبّل طارق يد ماندي وقبّلت ساندي يد والدها أيضًا وتركهما ورحل وأغلق باب البيت على طارق وساندي وحدهما، وبزواج مبارك من الجميع، وأخذ ساندي ودخل إلى بيته الفاخر وجلس وأجلس ساندي في الجهة المقابلة له مباشرة على نفس الطاولة، وبدأ حديثًا مختلفا معها عن ذي قبل.

طارق: إنتي ما تعرفينيش وواجب عليا أعرّفك بنفسي كويس، أنا والدي ووالدتي عايشين وليّا اتنين إخوات غيري ولاد، وبحبهم جدًا، وعلى فكرة بحبك إنتي كمان جدًا، بس حابب أعرفك نوايا نفسي علشان ما ابتديش حياتي خيانة من أولها.

أنا لازم هرجع لأهلي في يوم من الأيام وفي أقرب فرصة، وإنتي هتكوني معايا ومش هيبعدنا عن بعض غير الموت، وقبل ما أمشي من هنا هعمل خدمة لأهل الجزيرة ما يحلموش بيها.

ساندي: هتعمل إيه يا طارق؟

طارق: سيبي كل حاجة لوقتها، إنما اللي عاوزك تمسكي فيه بكل قوتك هو حبنا وإننا استحالة نفترق مهما حصل، فاهماني؟ مهما حصل.

ساندي: حاضر يا طارق وأنا نفسي أعيش معاك باقي حياتي، ومش عاوزه حاجة تاني غير إني يبقى عندي منك أولاد وبنات وعيلة، بس أنا بحب والدي يا طارق ومش هقدر أبعد عنه.

طارق: حاضر يا ساندي، علشان كده بقولك سيبي كل حاجة لوقتها وأنا كمان صدقيني بحب عمي ماندي؛ الراجل اللي احتواني وأكرمني وكتر خيره حقق أمنية قلبي.

ساندي: إيه؟ إنك تبقى الحكيم من بعده؟

طارق: هههههه، حكيم إيه؟ أنا قبطان حياتي في البحر مش البر، بس أنا حبيتك من أول ما قابلتك وقررت تكوني لِيّا ووالدك

قرّب المسافة عليّا.

ساندي: وأنا كمان يا طارق عشقتك من أول ما قابلتك، جايز علشان مختلف وجايز علشان شكلك، بس اللي أعرفه إن قلبي مايستغناش عن قلبك.

طارق: حبيبتي يا ساندي، أنا ماليش غيرك دلوقتي، ويلا بينا نتعشى أنا جعان ومشتاااق لحضنك.

ساندي: أنا محرجة يا طارق وعمري ما اتعاملت مع راجل في حياتي غير والدي.

طارق: وأنا والدك وأخوكي وابنك وحبيبك وكل حاجة ليكي يا قلب طارق، صدقيني بعشقك.

ساندي: ههههههه، وأنا كمان، يلا نتعشى بقى الكلام هياخدنا.

طارق: يلا يا قلبي يا مُنَى عمري.

وتناولا طعامهما وقضيا ليلتهما يتهامسان ويحكي كل واحد أسراره للآخر بلا حياء أو خجل، وبات طارق وساندي لأول مرة في حياتهما بجوار بعضهما البعض، وكسرا حجاب العزوبية التي ظللتهما منذ ولادتهما.

وفي الصباح قام طارق على وجه ساندي تحملق وتنظر وتتأمل في تفاصيل وجهه وهي تضع يدها اليمنى على صدره بكل حنان وهدوء وتتكئ على يدها اليسرى وتضع كفها على خدها بجواره، فابتسم طارق في وجهها قائلًا:

طارق: صباح القمر.

ساندي: تقول صباحك منير علشان أقولك صباحك منير بحاكمنا البصير.

طارق: أنا عاوزك تنسي كل اللي بره وتتعودي علي عيشتنا اللي هنعيشها بعد كده، واللي يحصل هنا مفيش مخلوق يعرفه ولا باباكي حتى ماشي؟

ساندي: حاضر يا حبيبي.

طارق: أيوه كده، أقولك صباحك قمر تقولي صباح الفل، أو أقولك صباح الخير تقولي صباح الفل والعكس، ومساء الخير ومساء النور، اِنسي اللي بره كله.

ساندي: حاضر بس أنا خايفة عليك.

طارق: متخافيش بس اعملي اللي أنا عاوزه بالظبط.

ساندي: حاضر صباحك فل يا قلبي.

طارق: الله الله الله، أيوه كده، هو ده أحلى صباح ده ولا إيه؟

ساندي: إيه... هههههه.

طارق: قلبي يا ناس وقمر حياتي.

ساندي: حبيبي يا طارق ربنا يخليك لِيّا.

طارق: ويخليكي يا قلبي.

وأمضى طارق وساندي إجازة زواجهما بالتقرب أكثر وأكثر لبعضهما البعض، وعرف طارق أغلب أخبار الجزيرة وحياة سكانها وتاريخها الموروث من الأجداد القُدامَى.

وبعد انقضاء فترة الراحة التي أعطاها لهما الحكيم ماندي خرج طارق من عرينه وأصبح الرجل الثاني بعد الحكيم، وأطلق عليه أهلُ الجزيرة الربان وكانوا ينادونه: سيادة الربان.

ومن كثرة جلوس طارق مع الحكيم ماندي وتمضية أغلب أوقاته في خدمة الحكيم ماندي تعلم الكثير من أسلوب الحكيم ماندي مع شكاوَى عامة الشعب، وتعلّم فن إدارة الأزمات بين أفراد الشعب، بالإضافة لخبرته في إدارة أزمات السفن والبحار

وأغلب مشاكلها.

وفي يوم وهو ذاهب إلى منزلة بعدما ودّع الحكيم ماندي لمح رجلًا يخرج من بيت أحد العزاب في المساء ويحمل بعض الأشياء ولم يتدخل أو يتكلم، وظل يراقبه حتى رآه يدفن ما معه في الرمال، ثم ألقي القبض عليه من شباب الجزيرة؛ لأنه يمشي بين بيوت العزاب في ضوء القمر بينما طريقه في بيوت المتزوجين.

وذهب إلى منزله، وفي الصباح وجد الشباب يحضرونه للحكيم ماندي بتهمة كسر القوانين والسير في ضوء القمر في غير طريقه، ولم يُبلغوا عن السرقة ولكن طارق أخذ الحكيم والشباب والرجل إلى مكان دفن هذه الأمتعة وأخبرهم أنه رأى الرجل وهو يسرق ويدفن هذه الأشياء هنا، وبالفعل اعترف الرجل بسرقته كي يشتري بعض الخمور التي يصنعونها من ثمر البلح، وأحضروه إلى المحاكمة وبعد المرافعة وسماع اعترافه علنًا وقف على منصة الحكم وحكم عليه الحاكم بالبراءة ورفع الراية البيضاء وهلّل الجميع، وتعجب طارق بشدة من هذا الحكم، وبعد انتهاء حفل الاحتفال بيوم المحاكمات كالمعتاد ذهب إلى منزله وجلس يتأمل ما حدث وظن أن هذا الرجل من المعروفين القدامى ولعله صديق للحاكم،

لكن ساندي أكدت أن الحاكم ليست له أي عائلات أو أقرباء أو أصدقاء حتى من قريب أو من بعيد.

ووضع طارق هذا الحكم نصب عينيه دائمًا وظل يفكر فيه مليًّا، وبعد فترة قصيرة أيضًا عرض الشباب على الحكيم ماندي قضية جديدة لسيدة أخذت القليل من الطعام لابنها الجائع دون وجه حق واعترفت بهذا وجاء الحكم صادمًا فارتفعت الراية الحمراء وفتحت منصة الحكم ووقعت تلك المرأة بداخلها، وبعد خمسة أيام وجدوها خارجة من بين الصخور في الأعلى فاقدة للنطق وتوفيت بعد خروجها بيوم واحد.

فكر طارق مليًا وقال في نفسه:

– إيه الحاكم الظالم ده؟ يقتل واحدة من الجوع علشان كانت واخدة لقمة تِتَّكِل ابنها ويسيب واحد سارق علشان يشتري عرق البلح المسكر؟!

إيه الحاكم المهبب ده؟

وبينما كان يفكر طرق أحد الشباب الباب بسرعة وقوة.

طارق: مين؟

الشاب: اِلحق يا ربان.

فتح طارق الباب وإذا بوجه الشاب شاحب أصفر ويداه ترتعشان.

طارق: خير فيه إيه طمني؟

الشاب: الحكيم ماندي فتح بابه ونادَى عليا وأنا رايح له لقيته وقع في الأرض وقاطع النفس.

ساندي: والدي حبيبي.

وخرجت مسرعة باتجاه بيت أبيها.

طارق: اِستني يا ساندي أنا جاي معاكي.

وجرى طارق خلفها ومعه الشاب وعندما وصلوا وجدوا الحكيم ماندي فارق الحياة. صرخت ساندي صرخة هزّت كيان الجزيرة وبكى طارق على هذا الرجل طيب القلب، ونادى طارق بحِداد لمدة شهر بدون أفراح أو حفلات أو ابتهاج حتى، وأقيم التأبين المناسب للحكيم ماندي، وأقيم له العزاء، وكان طارق من أشد الحزانَى لأجله.

أصبح طارق ما بين ليلة وضحاها حكيم الجزيرة التي لم يكن

يحلم أن يعيش فيها أو يتزوج منها أو يصبح الرجل الأول بعد الحاكم فيها، وبعد انقضاء الحداد وعودة الحياة إلى طبيعتها قرر طارق الاجتماع بكل الشعب بلا استثناء، وغيّر شكل الهيكل الخارجي للعمال والصنّاع وشباب الأمن وبدأ يقنن الأوضاع ويرتب أحوال الجزيرة ويقوّي السجون ويوسع رقعة المنازل هنا وهناك، وبدأ يقوّي مركزه وسط أهل الجزيرة بلا أي شاغل آخر، وأخذ يبتعد عن المحاكمات شيئًا فشيئًا وبدأت شعبيته تتزايد ومحبته من الشعب تتعاظم.

وفي أحد الأيام أثناء تواجده بمقر حكم الجزيرة ومعه معاونيه جاء له كبير الأمن في الجزيرة ويُدعى "سولا" وقال له:

– عندنا مشكلة يا حكيم ومحتاجينك تحلها في أسرع وقت.

طارق: خير يا سولا، فيه إيه؟

سولا: فيه واحدة من شعب الجزيرة بالأمس اتوفّت.

طارق: أيوه أم ماهر وباهر مظبوط؟

سولا: أيوه يا ربان.

طارق: مالها؟ ما هي الله يرحمها.

سولا: دا الظاهر يا حكيم، لكن قبل ما تموت ولّعت بين الإخوات نار ما تنطفيش.

طارق: خير قلقتني، اِحكي.

سولا: وهي على فراش الموت قالت: أنتو مش ولادي، أنا مش بخلّف، أنا لقيتكم عند مسكني وأنتو لسه مولودين، وجوزي اللي كتبكم على اسمه الله يرحمه قالي ماتعرّفيهمش، بس أنا هموت ولازم تعرفوا الحقيقة، و بعد كده عرفت أمكم وهِيّا تعرفكم وأمكم تبقى... وفاضت روحها يا حكيم وهما مش عارفين هما ولاد مين، وأنت عارف القوانين يا حكيم، دول لو ما عرفناش أبوهم وأمهم هيموتوا.

طارق: طيب سيبني شوية أفكر وأنا هلاقي حل.

سولا: أمرك يا حكيم جزيرتنا.

طارق: بس ابعت هاتلي التوأم هنا قُدّامي.

سولا: تمام يا حكيمنا.

وانصرف سولا ليعطي تعليماته للأمن بإحضار الشابين وينتظر طارق حتى يصل لحل. وجلس طارق يفكر أنه لو ذهب للحاكم

وحاكمهما من المحتمل وقوع ضحايا، ولكن أصدر أمرًا بإحضار كل الرجال والنساء وجلس معهم وقال لهم:

- أنا عرفت إن أم ماهر وباهر اللي نعرفها مش أمهم الحقيقية، وأمهم موجودة معانا، ولو ماقالتش بنفسها قدامنا هَنِعْرض كل الستات على الحاكم، واللي عاملة حاجة ما نعرفهاش هتموت بالمرة، يعني ممكن نص اللي قدامي يتعدموا، أنتو أصحاب القرار والاختيار، وأوعدكم مش هنحاكمها ولا نحاسبها بس هَنِنْسب ولادها ليها؛ لأن ولادها ممكن يتعدموا بسبب جهل النسب.

وهنا قامت سيدة وقالت:

- دُول ولادي من "أبو سيران"، وأنا جوزي مات وعندي استعداد أربيهم وأكفر عن غلطتي بأى حكم تحكم بيه يا حكيم.

طارق: طيب ليه سيبتيهم يتربوا بعيد عنك؟

المرأة: لأن أبو سيران كان رافض الخلفه؛ لأن كان عنده من الأولاد تسعة

طارق: يا كاتب الجزيرة.

الكاتب: أمرك يا ربان.

طارق: وقِّع عليها غرامة واسجنها شهر، واكتب ماهر وباهر باسمها واسم أبو سيران والغرامة أعطها لماهر وباهر.

وفعل طارق هذا ليبتعد عن الحاكم الذي لا يعرفه بالمرة.

ومضت الأيام والشهور وحال طارق تغير وصار محبوبًا من الجميع بلا استثناء، وصار طارق ربانًا بلا سفينة على كلِ الجزيرة، وساندي زوجته حبلت وولدت له ابنًا أسموه "سامر"، وأُقيم حفلٌ من الجميع؛ محبةً وإجلالًا لطارق وساندي وحياة الحكيم ماندي.

وبعد مرور عدة أشهر وفي ليلة من الليالى أثناء جلوس ساندي ووجود سامر يلعب أمامها جاء طارق وقبّل ابنه سامر وقبل جبهة زوجته وجلس شارد الذهن مشغول البال فقالت ساندي:

- مالك يا طارق؟ شكلك مش طبيعي!!

طارق: أنا شاغلني موضوع كده بقاله كتير.

ساندي: أنا حاسة بيك متغير بس النهارده باين عليك قوي.

طارق: أنا هقولك على سِرّ وعاوزك تساعديني فيه.

ساندي: خير يا طارق قلقتني؟

طارق: أنا قررت أدخل بيت الحاكم.

ساندي: يا لهوي يا طارق!! لأ لأ، لا طبعًا، أنت بتهزر صح؟

طارق: أنا بتكلّم جد يا ساندي صدقيني.

ساندي: ازاي يا طارق؟ هيتحكم علينا بالموت أنت عارف، أنت عاوز تعمل إيه؟ أنت هتروح للموت برجليك يا طارق أرجوك بلاش بلاش علشان خاطر سامر ابننا.

طارق: دا كل اللي بعمله علشان سامر مش علشاني.

ساندي: علشان خاطري يا طارق بلاش احنا هنموت كده وممكن الجزيرة كلها تتحاكم فيها.

طارق: ما تخافيش، صدقيني بكرة هتشكريني بس أهم حاجة تساعديني.

ساندي: وأنا هقدر أساعدك بإيه؟ أروح أتحايل على الحاكم يعني؟

طارق: يا مجنونة حاكم إيه وبتاع إيه اللي نخاف منه؟ بكرة تشوفي هعمل إيه.

ساندي: أمال أنت عاوز مني إيه؟

طارق: أنا عاوز أعمل جسر أعبر بيه لبيت الحاكم.

ساندي: ازاي يا طارق؟ الحاكم يقتلك، فيه كتير ماتوا قبلك.

طارق: ماتوا ازاي؟ اِحكيلي؟

ساندي: أجدادنا قالوا إن كل اللي يقرب من بيت الحاكم بيموت بلا رحمة.

طارق: يعني إنتِ ماشوفتيش بعنيكي؟

ساندي: لا عمري ما شفت، بس روايات أجدادنا كده وأجدادنا مابيكدبوش.

طارق: عارفة يا ساندي إيه أكبر مشكلة الجزيرة بتعاني منها؟

ساندي: إيه يا طارق؟

طارق: الوهم.

ساندي: إيه؟ الوهم؟

طارق: أيوه كل كلامكم: أجدادكم قالوا، أجدادكم عادوا، أجدادكم حذروا، أجدادكم قالوا اعملوا، الكلام ده اسمه تخلّف،

إذا ماجربناش عمرنا ما هنتعلم ولا هنتطور.

ساندي: أنت هتفتح علينا النار يا طارق وحاسة إننا هنموت في مكاننا.

طارق: ما تخافيش وبكرة تشوفي، مش كل الناس بتقولي يا ربان؟

ساندي: أيوه حتى أنا بقولك يا ربان.

طارق: أهو أنا ما استاهلش الكلمة دي وما استحقهاش لو محررتكمش من العبودية اللي أنتو عايشينها دي.

ساندي: فين العبودية؟! ما احنا بناكل وبنشرب وعايشين وابننا بيكبر قدامنا كمان.

طارق: فيه ناس عايشة علشان تاكل وناس بتاكل علشان تعيش، أهو كل الجزيرة عايشة علشان الأكل والشرب بس، مش بتفكر تعمل حاجة أو تتطّوّر حتى.

ساندي: طيب ما تطوّرنا أنت يا عم المطوّر.

طارق: ما هي دي أول خطوات التطور وبكرة تعرفي وتفهمي.

وفي الصباح قام طارق وذهب لمقر حكمه وأحضر بعض العمال

وطلب منهم أن يحضروا له بعض الأخشاب المعينة التي يتعدّى طولها أربعة أمتار وعرضها لا يقل عن عشرين سنتيمترًا وسُمكها يتعدّى خمسة سنتيمترات ليصنع شيئًا فوق منزله.

وبالفعل أحضر العمال بعض الأخشاب ووضعوها أمام بيت طارق كما أمرهم وأمر العمال ان يصنعوا أقفالًا للأبواب لكل بيوت الجزيرة، وبعد ان أتمّوا كل شيء وبعد كل هذا أمر طارق الجميع أن يكونوا في بيوتهم ويُغلقوا أبواب منازلهم ولا يخرج أحد إلا في الصباح الباكر، وهذه أوامر الحاكم ومن يخرج سيموت بدون محاكمة، وكان هذا لغرض في نفس طارق لا يعلمه أحد، وفي المساء بعد خلود الجميع إلى منازلهم خرج طارق في هدوء من بيته واتجه لبيت الحاكم من الخلف وصعدت ساندي إلى سطح منزلهم وأمسكت بأطراف بعض الحبال ورمت له الطرف الآخر وربط هذا الطرف في قمة الألواح وأوقف أول الألواح، وبدأت ساندي ترخي الحبل شيئًا فشيئًا حتى وصلت كل الألواح كالجسر وعبرت الخندق العميق حتى وصلت لبيت الحاكم والثاني والثالث هكذا، وأصبح الطريق ممهدًا للعبور إلى الحاكم، ونزلت ساندي إلى منزلها ودخل إليها طارق ليودعها ويودع ابنه.

طارق: خدوا بالكم من نفسكم يا ساندي، ولو حصل حاجة ابقي احكي لابننا إني ضحّيت بنفسي علشان أحرّره وأحرّر الجزيرة.

بكت ساندي بحرقة وأمسكت بيده وترجّته أن يتراجع عن تلك المصيبة التي سيُقدم عليها.

طارق: ما تقلقيش بس هاتيلي أي حاجة أدافع بيها عن نفسي.

ساندي بكت أكثر وأكثر ولكن طارق أصر على إقدامه على ذاك الموت المؤكد.

وأحضرت ساندي سكينًا وشعلة من النار وأعطتهما لطارق وأخذهما وقبّل ساندي وابنه سامر وابتسم وهو خارج أمامهما وفي داخله يتذوق طعم الموت قهرًا، ولكن كي يتحرر و يحرر ابنه وحيده وزوجته التي أحبها بصدق.

خرج واختبر الجسر بقدمه اليمني أولًا ثم بدأ يتمشى عليه بكل حذر حتى وصل لبيت الحاكم، وثبّت الشعلة في الأرض ثم قفز من فوق السور الخشبي وأخذ الشعلة ووضع السكين في يده الأخرى وتجوّل حول المنزل ولم يعثر على مدخل يدخل المنزل منه سوى الباب الرئيس، وكان الباب مغلقًا وحاول أن يدخل وأخذ يدفع

الباب بكتفه بكل قوة حتى بدأ الباب يستجيب لطموحاته ويفتح قليلًا قليلًا حتى أصبحت الفتحة مناسبة لعبور طارق منها، فدخل بشعلته يتفقد المكان وما إن دخل حتى صُدِم من هول ما رأى.

الفصل السابع

جلست ساندي في غاية القلق والتوتر لا تريد أن تسمع شيئًا سوى صوت طارق وهو يعانقها من جديد، ولم تمضِ الساعة على خروج طارق

حتى كان طارق يفتح باب بيته!! وهنا هرولت إليه ساندي قائلة:

- حبيبي، ألف حمدا لله على سلامتك، أنت رجعتلنا بالسلامة!!

طارق: أنا ما بقاليش ساعة يا بنتي.

ساندي: مرّت عليّا سنين يا عمري.

طارق: وأديني رجعتلك من تاني.

ساندي: عملت إيه؟ والحاكم عمل إيه؟

طارق: أبدًا قعدت معاه شوية وجيت، وقالي تعالَ بكرة عاوز أشوفك.

ساندي: بتتكلم جد يا طارق؟

طارق: جد الجد يا بنتي دا طلع محترم جدًا وذوق كمان.

ساندي: هوّ معاه حدّ جوّه؟

طارق: لا لوحده.

ساندي: طيب هو مش إنسان صح؟

طارق: لا إنسان طبعًا.

ساندي: عمره كبير على كده؟

طارق: بكرة تشوفيه.

ساندي: طيب قالك إيه يا طارق؟ وأنت قولتله إيه؟

طارق: هتعرفي كل حاجة يا ساندي بكرة، بس عاوزين نسيب سامر مع مربية الأطفال بكرة بحجة إنه مش بينام بالليل علشان مانقلقش عليه.

ساندي: ماشي كويس خالص فكرة جميلة.

طارق: خلاص رتبي حالك بكرة هتيجي معايا نقابل الحاكم بتاعنا.

ساندي: بس مش هيزعل لو أخدتني معاك من غير إذن؟

طارق: ازاي بقى؟ دا هو بنفسه اللي قالي هات ساندي معاك.

ساندي: أنت بتهزر؟ هو يعرفني؟

طارق: أيوه يا بنتي دا عارف كل الناس في الجزيرة وأساميهم كمان وما كانش عاوزني أمشي، بس أنا اتحجّجت بإنك قلقانة عليا ولازم أطمنك.

ساندي: أنا كنت هموت من الخوف عليك.

طارق: ما تخافيش تاني، دا الحاكم بقى صاحبي وصديقي وهتحبيه أول متشوفيه.

ساندي: أنا متشوقة أشوفه جدًا.

طارق: هههههه، بكرة تزهقي منه.

ساندي: ليه هو احنا هنروح تاني؟

طارق: كل يوم هنروح هههههه.

ساندي: أنا كأني بحلم.

طارق:أمال لما تروحي وتشوفيه هتقولي إيه؟ يلا بينا ننام وبكرة

نرتب دنيتنا ونروح للحاكم العظيم. عاش الحاكم.

ساندي: عاش الحاكم العادل.

طارق: هههههه. عاش الحاكم.

ساندي: عاش الحاكم العادل.

طارق: تصبحي على خير.

ساندي: وأنت من أهل الخير يا حبيبي.

طارق: تصبح على خير يا سامر.

ساندي وهي تحتضن سامر:

- تصبح على خير يا بابا.

طارق: تصبحوا على خير.

ساندي: وأنت من أهله يا حبيبي.

وبات طارق يسند رأسه على الحائط وهو متمدد ويبتسم من وقت لآخر وهو شارد الذهن، وما إن صبح الصباح حتى قام طارق متحمسًا ليومه الذي يسبق ليلة الحسم بالنسبة له مع ساندي، وذهب إلى مقر عمله وباشر شتى أعماله وأخبر كل الجزيرة

أن الحاكم يأمرهم بعدم الخروج نهائيًا لأي سبب ولا حتى مسؤولو الأمن والحراسة، فكان طارق ينتوي أن لا يمشي أحد في أرض الجزيرة ليلًا، وأما ساندي فقد ذهبت للمربية وأعطت سامر لها بحجة أن نومه متقلب وتريد أن تعرف السبب، فطلبت منها المربيه أن يبيت معها سامر تلك الليلة، وبالفعل وافقت وهي في الأصل كانت تتمنى ذلك.

وفي المساء ذهب طارق إلى المسافة الفاصلة بين بيت الحاكم وبيته، وفعلت ساندي ما فعلته بالأمس ورمت له بأطراف الحبال التي ربطها طارق ببداية الأخشاب وأنزلتها رويدًا رويدًا حتى وصلت بسلام للناحية الأخرى وصارت جسرًا عابرًا للحقيقة فوق خندق الوهم والشر، ثم نزلت إليه ساندي وأغلقت باب بيتها وأحضرت معها شعلتين؛ واحدة لها وواحدة لطارق، وعبرا الجسر وقفزا السور الخشبي وبدأ طارق يحكي لها ما حدث بالأمس عندما دخل بيت الحاكم:

- عارفة امبارح لما دخلت لقيت إيه؟

ساندي: إيه؟

- تعالي شوفي.

فوجدت ساندي ملابس بالية قديمة للقراصنة وبعض الأدوات الأثرية في عالم البحار والبحارة، ولم تجد سُلّمًا داخليًا ولا سقفا داخليا، ووجدت الراية الحمراء والراية البيضاء في الأعلى عند فوهة السطح وبعض السلاسل المتصلة مع بعضها والتروس التي تشبه الساقية القديمة، ووجدت نفقا في أرضية البيت به سُلّم من التربة، وترجّلت مع طارق ونزلت بشعلتها فوجدت هذا النفق يطل على الجانب الآخر بجوار منصة الحكم، ووجدت نفسها بداخل غرفة المنصة المكوّنة من بعض التروس الكبيرة والسلاسل والحبال القوية المتصلة مع بعضها البعض في شكل غريب ووجدت تحت المنصة منصة أخرى أصغر وأمامها ممر كبير فقال لها طارق:

- كل الظنون اللي ظنّتها من أول ما جيت الجزيرة طلعت صح.

ساندي: أنا مش فاهمة حاجة يا طارق!! أرجوك فهمني، إيه اللي بيحصل؟ وفين الحاكم؟ هرب؟

طارق: مفيش حاكم أساسًا.

ساندي: أمال فيه إيه؟ ومين بيحكمنا؟

طارق: الوهم؟

ساندي: نعم؟

طارق: زي ما قولت قبل كده، كل اللي أنتو عايشينه وَهم وكلام فاضي وخرافات.

ساندي: والمحاكمات والإعدام والبراءة!! كل ده إيه؟

طارق: أنتو للأسف انضحك عليكو واتعمل فيكو فصل كوميدي، هههههههه.

ساندي: أرجوك عاوزة أفهم، ممكن تفهّمني؟

طارق: تعالي بقى أفهمك من أول المنصة دي؛ المنصة دي مربوطة بالحبال ومتعلقة بالسلاسل دي، وفيها ٣ أوزان فوق شايفاهم؟ أول وزن ده الخفيف ومكتوب عليه ٧٠ ؛ يعني اللي وزنه ٧٠ كيلو أو أقل بتنزل بيه المنصة حاجة بسيطة وبترتفع معاها الراية البيضا، وتاني وزن ده مكتوب عليه ٩٠ يعني من ٧٠ ل٩٠ هتنزل بيه المنصة ويقع في الممر ده، وده أكيد الممرّ اللي بيطلع منه الناس شبه ميتين بعد أيام من الجوع والعطش، وتالت وزن ده مكتوب عليه فوق ال٩٠ ، ودا كل اللي وزنه فوق ال٩٠ هيقع من المنصة لقلب الميّه اللي قدامك دي ويطلع على الشط ميت زي ما شوفتي قبل

كده. يعني الأحكام كلها بدون عدل أو حتى رحمة وبتعتمد على وزن الضحية.

ساندي: يا نهار أسود!!! يعني كل المحاكمات كانت كده؟ مفيش حاكم ولا حتى حد بيسمع ولا شبح حتى؟

طارق: لأ فيه شبح.

ساندي في خوف ورعب:

- فين يا طارق؟ فين ؟

طارق: شبح الوهم والخرافات للأسف.

ساندي: طيب والدّهب اللي بندفعه مين بياخده؟

طارق: تمام، هو ده مفتاح القضية بتاعتنا ولازم نعرفه بس عاوز منك طلب.

ساندي: قول يا حبيبي.

طارق: مش عاوز مخلوق يعرف حاجة لما نعرف سرّ البيت ده والغرض منه إيه.

ساندي: دا أنا كنت ناوية أطلع أصوّت، هههههه، وأفضح

الحاكم المزوِّر ده.

طارق: لأ أرجوكي ما تبوظيش اللي وصلناله، خليه سرّ بيني وبينك أرجوكي.

ساندي: حاضر يا حبيبي أنا مليش غيرك يا طارق.

طارق: حبيبتي يا ساندي ولا تجيبي سيرة لسامر؛ دا عيل ما بيتبلش في بُقّه فولة.

ساندي: يعني إيه؟ مش فاهمة.

طارق: هههههه، دا مثل عندنا في مصر معناه إنه فُضَحِي.

ساندي: يعني إيه فضحي؟

طارق: ههههههه. يادي النيلة خلاص.

ساندي: هههههه، أنا فاهمة بس بستعبط.

طارق: طيب يا عم الفتك اِوعي حد يعرف.

ساندي: حاضر يا حبيبي أوعدك صدقني.

وخرج طارق وساندي ورفعها جسر الحقيقة من بين الوهم والواقع؛ أي بيت الحاكم والجزيرة، ورجعا إلى بيتهما بسعادة غامرة

وبالخصوص طارق؛ لأنه فضح ثقافة مزيفة ضيعت أجيالًا بأكملها وفرحًا بانتصار ظنونه أمام ساندي.

وفي الصباح ذهبت ساندي وأحضرت سامر وأبلغتها المربية أنه بات ليلته هادئًا، ولعل عدم استقرار نومه بسبب التقلصات التي تصيب معظم الأطفال وتفهمت ساندي الوضع وذهبت إلى بيتها.

أما طارق فقد ذهب ليباشر عمله ويتمم خطته التي أشرفت على الظهور لكل الجزيرة كالشمس المشرقة على الجميع بلا استثناء، وأثناء متابعة أمور الجزيرة إذا بالأمن يحضر رجلين كانا يقتتلان بسبب حب امرأة، وأصرا أن يُعرضا على الحاكم فقال لهما طارق:

- الحاكم بقاله يومين مانع التجول وبلّغني إني أأجل كل المحاكمات لمدة شهر، أنتو تستنوا شهر ولا موافقين أحلّ الموضوع وِدّي معاكم؟

فوافقا أن يتدخل طارق، فسأل عن المرأة وأحضرها أمام الرجلين وقال لها:

- إنتي بتحبي مين في الرجلين دول علشان اللي هتختاريه هتتجوزيه والتاني ينسحب فورًا بلا مناقشات؟

فأشارت المرأة على رجل منهما؛ فاحتضنها وقبّلها وخرج معها ليتزوجا عند الكاتب، أما الثاني فقال:

- لو ما ودتنيش عند الحاكم هروحله بنفسي وأشتكيك له.

وكان الرجل بدينًا جدًا وخاف عليه طارق فقال له:

- تشتكيني ليه هو أنا اللي اخترت؟

الرجل: هو كده، أنا مش راضي بحكمك وهشتكيك للحاكم لو ما ودتنيش للمحاكمة.

طارق: أنا خايف عليك؟

الرجل: لا متخافش، أنت خايف تطلع ظالم.

طارق: خلاص أنت حر هوديك للحاكم.

الرجل: أيوه ودّيني وأنا متحمّل اللي هيجرالي.

طارق: خلاص ماشي.

ونادى طارق بمحاكمة عاجلة في الصباح الباكر وسيجعلها تصبّ في فرض سيطرته على الجزيرة.

ذهب طارق إلى بيته وما إن جلس حتى أتت له ساندي قائلة:

- يعني أنت عارف مفيش حاكم ولا حاجة وتنادي بمحاكمة؟ مش حرام يا طارق؟

طارق: الظروف اللي حكمت يا ساندي؛ الراجل مصمم يروح للحاكم وأنا اتحايلت عليه رفض وقالي: أنت خايف الحاكم ينصرني عليك، وأنا أصلًا خايف يموت، دا تخين ووزنه كبير، قالي هروح للحاكم بيك ومن غيرك، ولو سيبته هِيبتي تروح ومش هنكمّل اللي بنعمله، بس أنا هستفيد من غباء الراجل اللي رايح للموت برجليه غصب عني طبعًا.

ساندي: هتستفيد ازاي يا طارق من موت إنسان مظلوم؟

طارق: أولًا دا مش مظلوم، ثانيًا دا مش راضي بحكمي وعاوز يروح للحاكم، ولما رفضت قالي: إنه هيروح غصب عني ولو شوكتي انكسرت وهيبتي راحت كلنا هنضيع، ثالثًا بكرة هخلي الحاكم يقولهم: إن مفيش محاكمات لمدة سنة والحكم متروك لِيّا لشيء في نفس الحاكم، وهقولهم شوية قوانين علشان مصلحتهم.

ساندي: أنا خايفة عليك يا طارق.

طارق: متخافيش يا حبي وما تقلقيش.

وبالفعل تجمع كل الشعب ثاني يوم وذهب الجميع إلى بيت الحاكم يتقدمهم طارق.

طارق:عاش الحاكم.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

طارق: عاش الحاكم.

الشعب: عاش حاكمنا العادل.

طارق: سيدي وسيد جزيرتنا حاكمنا الهمام. عاش الحاكم.

الشعب: عاش الحاكم العادل.

جئت إليك في قضيتين: الأولى وهي ما أمرتني به من يومين وهو أن أقوم بالفصل في قضايا الجزيرة لمدة عام كامل لشيء في نفسك يا حاكمنا العظيم، وأنا لم أقل لرعاياك هذا، ولكن بالأمس وهذه القضية الثانية فصلتُ في قضية بين رجلين وامرأة؛ وكانت القضية أن الرجلين يحبان نفس المرأة فأحضرت المرأة وسألتها عمّن تحب فأشارت لواحد منهما فزوجتهما، أما الرجل الثاني رفض حكمي وأصرّ أن يُحاكَم بين يديك الكريمتين، فإن عفوت عنه سيتزوج المرأة وسيُعدم الرجل الآخر وسأترك عملي وأكون مواطنًا عاديًا،

وإن لم تعفُ عنه فهذا دليل على نجاحي فيما أسندته لي يا سيدي ومولاي الحاكم، وأن من لا يخضع لحكمي سوف يُقتل بلا محاكمات في السجن، وإليك الرجل الذي اعترض على حكمي وسيُدلي بقوله لمعاليكم سيدي الحاكم.

الرجل: سيدي الحاكم، أنا أحب تلك المرأة من زمن وقد وعدتني بالزواج، ولكن عندما وجدتْ هذا الدخيل الرجل الذي أحبته من أجل ذهبه وثروته تركتني وأحبّته، فأنا من أحببتُها أولًا سيدي الحاكم وأنا الأَوْلى بها، وهذا الحكيم ظلمني وأنا راضٍ بحكمك سيدي وسيد جزيرتي.

طارق: والآن سيدي الحاكم سيصعد هذا الرجل على منصة الحكم، وجميعنا راضون بحكمك وقضائك.

ثم صعد الرجل وما إن صعد حتى سقط وارتفعت الراية الحمراء

وهلّل الجميع، وحملوا طارق على الأعناق، وقالوا:

- عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

واصطفّ الجميع ووضعوا ما عليهم من ذهب في صندوق المال، ورجعوا إلى مقر الحكيم طارق أو الربان كي يحتفلوا معًا بكل ما حدث.

وصار احترام طارق مفروضًا على الجميع وبلا استثناء تنفيذا لأوامر الحاكم العظيم.

وبعد عدة أيام من تلك الأحداث وبعدما فكر طارق مليًا في تحديد مسار صندوق المال خطرت له فكرة عبقرية وأراد أن يأخذ رأي ساندي فيها:

- أنا عندي فكرة نعرف بيها مسار الدهب اللي بنحطه في صندوق المال؛ لأنه ملوش فتحات تحت في البيت بتاع الحاكم، وبما إنه ملوش مكان في بيت الحاكم يبقى بيودي على حتة تانية.

ساندي: ما يمكن بيوصّل للبحر زي الناس اللي بتموت دي وبنلاقيها على الشط.

طارق: كانوا خلوه مع المنصة، لا لا فيه حاجة تانيه؛ لأن مكانه بعيد عن المنصة ومكان الحكم.

ثم انتفض طارق وهو في غاية الدهشة بعينين مفتوحتين عن

آخرهما.

طارق: اِستنِّي، فيه حاجة رايحة من بالنا!!

ساندي: اِوعَى تقولي الشجرة.

طارق: أيوه مظبوط، والدِك الله يرحمه قالي إن ممنوع حد يقرب منها بأي شكل.

ساندي: الشجرة جَت في بالي أول ما قولت حاجة رايحة من بالنا.

طارق: بالظبط كده، جهزي نفسك بكرة وخلي بالك سامر ما بينامش برضو كويس.

ساندي: ههههههه. المربية هتطفش مننا.

طارق: هتطفش فين؟ دي الجزيرة قد قرية من القرى عندنا في أم الدنيا، هههههه.

ساندي: مين أم الدنيا دي؟

طارق: مصر الجميلة اللي استحملت غزو واحتلال وذل ما استحملتهوش أي دول تانية ولسه محتفظة بفروعنيتها الجميلة

وناسها الطيبين بس مش زيكو بيمشوا ورا أي حاجة وخلاص دي دماغهم شغالة مش بتنام، هههههه.

ساندي: نفسي أشوفها.

طارق: هتشوفيها وتشربي من نيلها.

ساندي: يا ريت يا طارق.

طارق: صدقيني لازم تروحيها ونربي سامر فيها وقريب جدًا كمان. المهم استعدي لمعركة بكرة وجهزي نفسك.

ساندي: حاضر هكون جاهزة وعمري ما هسيبك.

وفي الصباح جمع طارق الشعب في مقر عمله وقال لهم:

- اِعملوا حسابكم الحاكم بيبلغكم مفيش خروج من بيوتكم ولا حتى للأكل أو العلاج من المساء وحتى الصباح، ومَن يخرج سيموت في الحال حتى لو كان الأمن اللي قتله صعب المنال.

وقضى يومه وذهب إلى بيته وكانت ساندي قد أرسلت ابنها إلى المربية بحجة تقلب نومه كالعادة، وجلسا سويا يرتبان أوراقهما في هدوء، وأخذا شعلتهما وهرولا ناحية الشجرة الممنوعة زيارتها وكأنهما يتسابقان في الجنة؛ فالممنوع حتمًا مرغوب ليس حبًا وإنما

الاستطلاع ومعرفة المختفيات غريزة لدي الإنسان.

وصلا إلى السياج حول الشجرة العظيمة، ودخلا من السور الخشبي وأخذا يبحثان عن شيء في الشجرة، وكان طارق يطرق عليها بكفيه كي يسمع صوتها إن كانت جوفاء أم مصمتة، وجلست ساندي على حجر كي تستريح فسمع طارق صوت احتكاكه بسطح صلب فأقامها وجثا على ركبتيه وحمل الحجر ومسح تحته فوجد سطحًا حديديًا فأزال كل الحجارة الموجودة عليه ومسح عليه يمينًا ويسارًا فوجده بابا كبيرًا فرفعه ووجد سُلّمًا للأسفل، فنزل مع ساندي بهدوء فظهر أمامه سرداب طويل باتجاه بيت الحاكم فمشى فيه مع ساندي إلى أن وصل إلى كوم كبير من الذهب، نعم كوم من الذهب؛ إنه الذهب الذي يُوضع في صندوق المال، وهنا بدأت تظهر وتنكشف أوراق اللعبة، فقالت ساندي:

- أنا مش مصدقة اللي بيحصل.

طارق: لا صدقي، أنتو اتنصب عليكو كل السنين اللي فاتت دي.

ساندي: وبعدين هنعمل إيه؟

طارق: ولا حاجة، هنرجع كل حاجة زي ما كانت.

ساندي: والدهب ده مش هناخده.

طارق: الدهب ده أغلى دهب في حياتي؛ لأنه هيكون فيه نجاتي ونجاتك ونجاة ابننا سامر.

ساندي: طيب فهمني؟

طارق: هتفهمي كل حاجة في وقتها، بس لِيّا عندك خدمة؟

ساندي: قول يا حبيبي.

طارق: عاوزين نرجّع كل حاجة لأصلها حتى الحجارة ونمسح آثار رجلينا من المكان كله.

ساندي: حاضر يا حبيبي يلا بينا.

وخرجا ومحوا كلَّ أثر لهما وأرجعا كل شيء لأصله، وذهبا إلى بيتهما ومسحا آثار أقدامهما من على الرمال.

في الصباح جلس طارق مع ساندي وسألها:

- هو تقريبًا كده الدهب اللي شوفتيه امبارح ده يكون اتجمّع في قد إيه مثلًا؟

ساندي: ممكن ست شهور أو سبع شهور أو تمانية على حد علمي يعني.

طارق: طيب اللي قبل كده بيروح فين؟

ساندي: أيوه صحيح مين بياخده؟ ومين بيعرف يوصل هنا؟

طارق: أنا عارف مين.

ساندي: مين يا طارق؟

طارق: اللي بنوا البيت.

ساندي: القراصنة؟

طارق: تمام مظبوط هما القراصنة.

ساندي: وناوي تعمل إيه؟

طارق: أول حاجة هنعملها بكرة هنفتح نفق من بيتنا لبيت المال من جوّه.

ساندي: ليه؟ طيب ما هو مفتوح من هناك.

طارق: علشان نشوف مين اللي بيفتح ويدخل من غير ماياخد باله ويخاف يدخل.

ساندي: طيب ماشي وهنعمل النفق بإيه؟

طارق: أنا هتصرّف بكرة.

ساندي: طيب بلاش بكرة؛ الناس هتشكّ في أمرك خد راحتك وعلى مهلك وحتى علشان المربية اللي هتخنقلنا الواد اللي زهقت منه ده، هههههه.

طارق: كلامك صح وأنا موافقك ربنا يكملك بعقلك.

ساندي: أنت ربّان عقلي وقلبي وحياتي كلها يا حب.

طارق: ربنا يخليكي لِيّا يا قلب القلب.

في الصباح باشر ربان الجزيرة - وحاكمها الفعلي أمام زوجته ونفسه ونائب حاكمها أمام أهل الجزيرة - أعماله ومهامه التي يظهر لهم أنه تلقاها من الحاكم مباشرة، وبدأ يرتب مع القُدامَى من أهل الجزيرة الذين يعرفون فنون القتال البدائية والقديمة أن يجمعوا الشباب قويي البنية في هذا المجال ويدربوهم على قدر المستطاع بأغلب الأسلحة البيضاء المصنوعة للدفاع عن الجزيرة وكأنهم يستعدون لحرب خارجية، حتى النساء أمرهن أن يتطوعن لخدمة هؤلاء الرجال وتوفير الطعام الغنيّ بالبروتين من الأسماك

بطرق صحية، وكان عددهم يفوق مائة رجل غير المتطوعين حبًا في الربان طارق، وأخبرهم أيضًا أن الحاكم قد أمر بحظر التجوال لأي سبب بقدوم المساء لمدة عام بلا إبداء أي أسباب، ورحّب الجميع بقرارات الحاكم حبًا فيه وحبًا في ربّانهم المحب للجميع حكيم جزيرتهم.

وأحضر المربية المسؤولة عن تربية الأطفال وتعليمهم وأعطاها بعض الذهب واللؤلؤ كي تهتم بسامر ابنه كل ليلة في بيتها فترة معينة لا يعلمها حتى الآن.

وطلب من العمال أن يَحضروا لمنزله من الغد كي يحفروا نفقا تحت منزله بناء على أوامر الحاكم ليكون حصنًا له من الأعداء، وبالفعل بدأ بحفر نفق من قلب بيته إلى باطن الأرض بعمق المترين وأكثر قليلًا، ثم اتجه به ناحية نفق صندوق المال كي يتابع منه كل شيء، وعرف المسافة بالذراع، وما إن أوشك على الوصول أمر العمال بالتوقف؛ لأن هذا البعد يكفي وأن يتفضلوا بالانصراف وفي الصباح يأتون ليأخذوا معداتهم.

وبالفعل انصرفوا وتركوا كلَّ شيء، وما إن أغلق باب بيته حتى نزل هو وساندي وأخذ يكمل الحفر وساندي تأخذ ما يخرجه من

التراب وتذهب إلى خارج النفق في قلب بيتها وترميه خارجًا، وما هي إلى ساعتان وأكثر قليلا حتى وصل للنفق المقصود وخرج إليه ووجد كوم الذهب على يمينه والنفق باتجاه الشجرة على يساره.

ونظفت ساندي النفق تمامًا هي وطارق وأخرجا معدات العمال وأعدت ساندي مشاعل صغيرة وزرعتها في جوانب النفق عند الاحتياج، وصنعا بابا خشبيًا فوق النفق ووضعوه فوقه ووضعوا عليه المنضدة الخاصة بالطعام.

طارق: كده تمام التمام فاضل حاجة كمان؟

ساندي: إيه يا حبيبي؟

طارق: نعمل حاجة نعرف بيها إن الباب اللي هناك اتفتح.

ساندي: أنا عندي فكرة.

طارق: قولي.

ساندي: نعيّن حرس هناك.

طارق: عارفة لو أمي هنا؟

ساندي: ها؟

طارق: كانت طبختك واتعشينا بيكي.

ساندي: اِخص عليك.

طارق: متهونيش عليا يا قلبي.

ساندي: آه ما هو باين أهُه، عاوز تاكلني أنت وأمك.

طارق: إنشالله أطفحك يا قلبي، هههههه.

ساندي: بعد الشر عليك ومالها الحراسة بس؟

طارق: لو حد حسّ إن فيه حركة هناك هيخاف يجي وهنضيّع الفرصة.

ساندي: أمال عاوز تعمل إيه؟

طارق: احنا نجيب أرفع حبل أو خيط ونربطه في الباب ونوصّلة لغاية هنا ونربطه في أي حاجة ولما يتحرك يبقى الباب انفتح.

ساندي: الله عليك وعلى دماغك.

طارق: هههههه. دا سامر يقولها يا بنتي.

ساندي:هههههه. طبعًا مش ابنك؟

طارق:ربنا يخليكم ليا.

ساندي: ويخليك لينا يا حبيبي.

طارق: إنتي بقى شُغلتك بكرة تجيبي الخيط، حاولي تجيبي أرفع حاجة وأقوى حاجة، هتلاقي ولّا صعب؟

ساندي: حاضر يا حبيبي هحاول، هنا بنعمل الخيط من جذوع الشجر بس بيبقى غالي شوية.

طارق: عادي الدهب موجود هههههه.

ساندي: على رأيك كله سهل.

وباتا ليلتهما يفكران في المستقبل الآتي الذي بدأت ملامحه تتضح شيئًا فشيئًا، وفي الصباح أتى العمال وأخذوا معداتهم وذهبت ساندي وأحضرت الخيط ووجدت بعض الأواني البدائية الزجاجية فأحضرتها وأحضرت سامر إلى المنزل وانتظرها طارق ولم يذهب إلى عمله كالمعتاد، ولكن أخذ منها الخيط ونزل إلى السرداب وأخذ الخيط معه والشعلة واتجه ناحية الباب الحديدي عند الشاطئ وما إن وصل حتى ربط طرف الخيط في مقبض الباب من الأسفل وكان الخيط رفيعا بحيث لا يستطيع من يدخل أن يراه أو يشعر به من الأساس، وتمشّى وهو يمحو آثار أقدامه بهدوء إلى أن وصل النفق

الذي صنعه ومرّر الخيط منه حتى وصل إلى المنزل وأصعده معه، وترك الخيط حرًا كي تسهل حركته ووضع الباب الخشبي وترك مساحة بسيطه لحركة الخيط ووضع فوقه المنضدة وربط طرف الخيط في زجاجة ووضعها على المنضدة ثم قال لساندي:

– كل شغلتك تحرسي القزازة دي لو اتحركت أو وقعت تبلغيني لو كنت فين كده، واِوعي سامر يقطع الخيط أو يِطُولها.

ساندي: حاضر ما تقلقش، كده كده سامر بيروح للمربية بتاعة الجزيرة بالليل.

ثم خرج طارق كالعادة وتابع كلّ ما يحدث وجهز عددا مناسبا من المقاتلين يتعدّى مائة مقاتل بشراسة غير معاونيهم واجتمع معهم قائلًا:

طارق: عاش الحاكم.

المقاتلون: عاش الحاكم العادل.

طارق: عاش الحاكم.

المقاتلون: عاش الحاكم العادل.

طارق: شوفوا، أنا كلفتكم بالتدريب من أجل مهمة خطيرة

طالبها مننا الحاكم؛ وهِيّا إن فيه لصوص بتسرق دهب الجزيرة ولازم نقبض عليهم ونحاكمهم. دا أول شيء، تاني شيء هو إن الحاكم كلفني بمهمة لازم أعملها وهتكون مراتي معايا وابني وأنتم كمان، موافقين ولا فيه حد مش موافق؟

فصرخوا بلا تردد:

- عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل. عاش حاكمنا العادل.

طارق: طيب تمام. عاوزين نرتب حالنا من النهارده، فريق يكون صاحي وفريق يرتاح هنبقى تلات ورديات، كل وردية تَمَن ساعات تمام؟

المقاتلون: تمام يا ربان.

طارق: ومكان إقامتكم ونومكم هيكون هنا والأكل والشرب هنا وهجيب العمال ونعمل غرف زيادة ونوسع المكان، تمام؟

المقاتلون: تمام يا ربان.

طارق: القزازة اللي على التربيزة دي والخيط اللي مربوط فيها بحياتنا كلنا لو حد لمسها هنموت مرة واحدة، واللي هيحركها هو

الحاكم فقط، وساعة ما تتحرك هنشيل التربيزة دي ونرفع الباب ده وننزل النفق اللي تحت بهدوء وهنجهّز قارب واتنين وتلاتة وأربعة ونرتّب نفسنا ونتدرب عليهم كويس ولما يحين الوقت هنهاجم سفينة الغزاة بس من غير ما نضرّ السفينة، دي أوامر الحاكم؛ لأننا هنروح نجيبله شيء غالي ونيجي علشان الجزيرة، المهم نقضي على كل الغزاة ما عدا قبطان السفينة تربطوه وتسيبهولي أتفاهم معاه.

المقاتلون: تمام يا ربان ومن اِمتى التدريب؟

طارق: من بكرة الصبح وذي عملية سرية جدًا بأوامر الحاكم رتبوا نفسكم وأنا هنقل مراتي وابني بيت تاني وهجيب العمال يوسعوا المكان.

المقاتلون: تمام يا ربان.

وانصرف المقاتلون ووضع طارق وساندي الجسر عند بيت الحاكم

ودخلا ليلًا إلى هناك وتسلّلا إلى غرفة منصة الحكم أسفل البيت وأوقفا المنصة كي لا تفتح ثانية وتقتل أي إنسان آخر، وصعدا وكأنهما لم يفعلا شيئًا وبعد ذلك انصرف طارق وساندي وأخذت

ابنها معها وسكنت في بيت أبيها.

وحضر العمال مع طارق وهموا في بناء أجزاء جديدة للمقاتلين بترتيب معين حسب رؤية طارق، وأبلغ المسؤولين بتوفير الطعام اللازم والمياه اللازمة لمعيشتهم بأريحية، ومشى كل شيء حسبما رتّب طارق فكان يدير شؤون الجزيرة وعينه على المقاتلين، ويستعد في أي لحظة للمعركة، وكانوا في تدريب دائم وعمل دائم، وصنعوا بعض القوارب الخشبية بناء على توجيهات طارق، وصنعها بحكمة بالغة من الأشجار وأحكم صنعها بكل دقة، وكان القارب يسع حوالي عشرة أفراد فصنع عشرة قوارب وكان هذا أغرب ما حدث على أرض الجزيرة، فمن يوم أن وجدوا أنفسهم عليها وحدهم حذرهم أجدادهم من صنع أية قوارب؛ لأن مَن ينزل الماء بقارب لن يعود فحسبانا للهلاك لم يفكروا من قبل في هذه المجازفة الخطيرة،

وبعد صنع تلك القوارب بدأ طارق يعلمهم كيف يركبونها ويجدفون بها ويوجهونها وكل شيء عن الإبحار، وجعل في كل مجموعة من المجموعات العشر أمهرهم وأذكاهم هو القائد عكس ما يُتّبع في بعض المجالات الأخرى للأسف في حياتنا العملية.

وبعد فترة تعدت الشهور تعلم كل واحد دوره وكل قائد قارب

عرف فريقه وتقرب منهم وصاروا كاليد الحديدية التي تبطش بلا رحمة، وعلّمهم طارق القسوة وعدم التردد في بعض المواقف.

وبعد الانتهاء من كل هذا جمع طارق كل أهل الجزيرة وأخبرهم أن الحاكم رفع حظر التجوال ليلًا عن المقاتلين وعنه بصفته حكيم الجزيرة وعن ابنه وزوجته فقط ولا استثناءات أخرى.

الفصل الثامن

وفي إحدى الليالي بعد غروب الشمس وانتهاء عمله كان طارق في بيته مع زوجته ساندي ويداعب ابنه سامر وإذا بباب بيته يكاد يهشم فوقهم.

طارق: مين؟

المقاتل: افتح يا ربان، أنا قائد المقاتلين.

طارق: إيه؟ فيه إيه ؟ خير.

المقاتل: حصل يا سيادة الربان.

طارق: بتقول إيه؟ الخيط اتشد؟

المقاتل: والقزازة وقعت واتكسرت.

طارق: يلا بسرعة يلا هات ساندي وابني وتعالَ ورايا.

المقاتل: أمرك يا ربان.

وجرى طارق كأنه يسابق الزمن من حوله حتى وصل منزله

خلف بيت الحاكم وأزاح المنضدة وباب القبو، وأنزل كل واحد إلى مكانه بدون شعلة في قلب الظلام، ووقف أمامهم عند نهاية النفق وانتظر قليلًا حتى وجد ضوءا قادما من بعيد، فتوارى في النفق الخاص به حتى وصل إليه النور وحامله وهنا أطبق عليه طارق وأفرغ فيه كل هذا العناء الذي مرّ به وسحبه إلى المنزل في الأعلى وأوثقه وكلمه قائلًا:

طارق: أنت مين؟

الغريب: أنااااا أنااااااا.

طارق: إيه نسيت اسمك؟

الغريب: اسمي حازم بن علي.

طارق: وجاي تعمل إيه؟

الغريب: أااااااااا أاااااااا.

طارق: اِقتلوه دا فاقد الذاكرة.

وسحب المقاتلون أسلحتهم فصرخ الرجل:

- خلاص خلاص هتكلم هتكلم.

طارق: ها قول كل حاجة ولو كدبت هتنقتل في الحال.

الغريب: حاضر حاضر، أنا حازم بن علي قرصان على سفينة أبو نوح؛ مِلْك القرصان سليمان بن عبد الله وهو موجود دلوقتي على السفينة، وكل سنة بنيجي هنا ندخل النفق ناخد الدهب اللي هنا ونمشي.

طارق: تمام تمام، السفينة فين؟

الغريب: على بعد نص ميل بالظبط اتجاه القمر.

طارق: فيه كام واحد معاك؟

الغريب: اتنين في القارب.

طارق: فيه كام واحد على السفينة؟

الغريب: كلنا عشرين يعني غيري أنا والاتنين اللي معايا سبعة عشر.

طارق: عارف لو بتكدب هسيب الرجالة دي تاكلك حي.

الغريب: لا لا بس خليني أعيش أرجوك.

نظر طارق حوله فوجد أحد المقاتلين قريبًا من ملامحه وحجمه

فأمره أن يبدل ملابسه مع الغريب، وأن يأخذ جواله المصنوع من الخيش، وبالفعل تم الاستبدال وملأ طارق الجوال بالرمال وجعله على ظهر المقاتل الذي يرتدي ملابس الغريب، ثم سأل الغريب:

- اسم الاتنين اللي في القارب إيه؟

الغريب: مشهور وعابدين.

طارق: اتوزعوا من هنا لهناك وبتوع المراكب تلاته يتحركوا من مكانهم باتجاه القمر، وخليكم بعيد عن السفينة لما القارب اللي عند الشجرة يوصل واللي فيه يطلع تهجموا بلا تردد واللي فاضل يستنى على الشط عند الشجره اللي يوصل غريب غيرنا تقتلوه، مفهوم؟

كبير المقاتلين: مفهوم يا ربان.

- وإنتي يا ساندي خليكي هنا ما تتحركيش بابنك، وأنت (وأشار لأحد المقاتلين) تحطّ سلاحك على رقبته، لو كان كدّاب اقتله ولو مش كداب يتحط في السجن لما أرجع.

ونزل مع بقية الرجال في هدوء إلى النفق وترجّل معهم حتى وصل إلى نهاية النفق، أمّاالمقاتل الذي يرتدي ملابس حازم الأسير فنادى قائلًا:

- تعالَ يا مشهور أنت وعابدين؛ الشِوال مليان لآخره.

فنظر مشهور وعابدين من النفق وقال له عابدين:

- فين النار اللي كنت داخل بيها مش شايفين حاجة؟

المقاتل: تعالوا شيلوا مش قادر خلاص.

فنزل مشهور وعابدين يتحسسان الجدران إلى أن التقفتهما أيدي المقاتلين وخنقتهما وأخرجتهما جثثا هامدة، وأخذوا ملابسهما وارتداها طارق وأحد المقاتلين وألقوا جثتيهما في الماء.

واستقل المقاتل الذي يرتدي ملابس حازم وطارق والمقاتل الآخر القارب وكانت القوارب الأخرى في الطريق في نفس التوقيت واقترب طارق ولاحت له السفينة في الأفق، وعند اقترابه أنزلوا له الحبل فقال طارق لهم:

- اِلحقونا؛ عابدين ومشهور لدغهم تعبان والشوال عند الشجرة مش قادر أشيله.

فأنزلوا قاربًا آخر فيه ثلاثة رجال واتجهوا مباشرة نحو الجزيرة وأنزلوا سلمًا خشبيًا ليصعد عليه حازم حسب ما يعتقدون إلا أنه تلكأ بحجة حبه لأصحابه الذين يتأوّهون من الوجع والألم فأنزلوا

قاربًا آخر بجوار قارب طارق به ثلاثة رجال، وما إن همّ أولهم بالاقتراب حتى طعنه طارق في رقبته فسقط في الماء فنادى مُنادٍ من الأعلى:

- إيه اللي بيحصل؟

فرد طارق:

- نزلنا الميه نرفع عابدين علشان نطلعه.

وانقض المقاتلان على الاثنين المتبقيين في القارب وكتما أنفاسهما ورموهما في الماء، وأثناء هذا كله كانت باقي القوارب تجمعت فصعد طارق وخلفه المقاتلان، وما إن صعدوا حتى طعنوا كلَّ من يقابلونه ورموا مَن قابلهم على الحافة وصعد بقية المقاتلين وتم احتلال السفينة من قِبَل طارق وطاقمه وتحفظوا على الربان سليمان واثنين من معاونيه.

وما إن وصل قارب القراصنة الثلاثة إلى الشاطئ ونزلوا كي يحملوا الجوال حتى انقض عليهم المقاتلون وقتلوهم.

وأصبحت السفينة ملك الربان طارق؛ الربان الذي نجح أن يكون ربانا بلا سفينة في أول اختبارات حياته، صارت له سفينة

وليست أي سفينة بل سفينة أبو نوح؛ أشهر سفن القراصنة.

وقيد المقاتلون القرصان الربان والاثنين المعاونين له وجلس طارق يستجوبهم:

- مين فيكم سليمان؟

سليمان: اسمي الربان سليمان.

فلطمه أحد المقاتلين وقال له:

- طالما الربان طارق موجود مفيش ربان غيره مفهوم؟

سليمان: مفهوم.

طارق: احكيلي بقى الحكاية بالتفصيل وما تكدبش في حرف، الحرف بعمرك.

سليمان: أنا قرصان ودِي سفينتي وارثها عن جدودي ووالدي ودول كلهم من سلالة عيلتي، ومن قديم الزمان جدودي احتلوا الجزيرة دي وكانوا بيحولوا مواردها طول السنين اللي فاتت بنفس الطريقة وجدودي اللي عودوني وأمروني إني أعمل كده.

طارق: وجدودك برضو اللي بنوا بيت الحاكم وصمّموه؟

سليمان: عمرنا ما دخلنا الجزيرة ولا نعرف اللي فيها. كل اللي نعرفه النفق وشوال الدهب وخلاص، كل سنة نيجي ناخده ونمشي.

طارق: واللي يموت يموت واللي يعيش يعيش صح؟

سليمان: ما اعرفش حاجة غير النفق والدهب.

طارق: طيب وبتيجي كل سنة نفس المكان ولا بيتغير؟

سليمان: الجزيرة بتتحرك طول السنة بس مكانها في كل سنة زي النهارده في نفس المكان.

طارق: تمام، والمكان هيتغير اِمتى؟ الليلة ولا بكرة؟

سليمان: مع شروق الشمس.

طارق: علشان كده بتيجوا كل سنة؟

سليمان: أيوه وبيبقى نفس المكان على الخريطة.

طارق: فين الخريطة؟

سليمان: موجودة في غرفتي.

فأرسل طارق أحد المقاتلين فأحضرها وتطلّع إليها طارق وفهم

ما فيها، ثم قتل طارق القرصان ومعاونيه، وذهب وقتل حازم؛ القرصان الأسير، وأبلغ كبار الجزيرة أنه ذاهب وسيأتي خلال العام المقبل لينفّذ أحد وصايا الحاكم، وأمر الجميع أن يطيعوا الثلاثين مقاتلًا حتى يأتي.

الفصل التاسع

وأحضر زوجته ساندي وابنه سامر وصعدوا إلى السفينة وفتح الخريطة قاصدًا مضيق جبل طارق؛ ليعبر من المحيط للبحر المتوسط، وبالفعل قصد طارق وجهته وأبحر مع زوجته وابنه لأول مرة في حياتهما، وبدأت السفينة في الإبحار وأنزل طارق علم القراصنة من على السفينة وطلب من ساندي أن تبحث عن كل الأقمشة الموجودة وتحضرها له وبالفعل ولحسن الحظ وجد أقمشة حمراء وبيضاء وسوداء، فحاكها كعلم مصر ليصنع هوية لسفينته التي يرتادها، فصنع علم مصر ووضعه عاليًا كي تكون هوية سفينته مصرية خالصة.

وبعد الإبحار مرت الساعات وكان طارق في مضيق جبل طارق ومنه إلى البحر المتوسط حتى اقترب من الوصول إلى ميناء الإسكندرية، وهنا تنفس الصعداء بعد كل هذا العناء الذي مرّ به، وما إن اقترب من الحدود المصرية حتى أتته إشارة على لاسلكي السفينة من غرفة العمليات المصرية وعرّف نفسه وقال لهم:

- معكم القبطان طارق عبد الله، مصري الجنسية وأريد النزول إلى ميناء الإسكندرية.

فأرسلت له غرفة العمليات البايلوت لاستقباله واصطحابه إلى الميناء في سلام، ونزل طارق أرض الإسكندرية ومعه زوجته ساندي وابنه سامر، وكانت ساندي كأنها فاقدة النطق من هيبة المكان وزحام البشر حولها، ورحب الكل بطارق، وما إن سمع مدير الشركة التي تملك السفينة الغارقة حتى أتى له يسأله عمّا جرى، فقال له كل ما حدث من مكالمة التليفون وحتى غرق السفينة وموت الطاقم بأكمله ونجاته وحده، وحدّد على الخريطة موقع الغرق، وحضرت الجهات القانونية وسمعت أقواله وتركته يذهب لبيته مع زوجته وابنه.

طلب طارق من صديق قديم له أن يوصله هو وزوجته وابنه بالسيارة،

وأثناء استقلالهم السيارة لم تتحدث ساندي بكلمة غير أنها تنظر من نافذة السيارة وتتأمل هذا العالم الذي لم تره من قبلُ ولا تعلم عنه شيئًا.

ووصلت السيارة إلى منزل والده ونزل طارق ورحّب به الجيران

الذين تعودوا على تأخّره خارج المنزل في عمله، وصعد طارق كالمجنون وخلفه ساندي التي تخاف أن يفارقها فتفقد هويتها في هذا العالم الجديد عليها، وطرق طارق الباب وإذا بصوت أمه في الداخل:

- شوف مين على الباب يا هشام.

هشام: هو مفيش غيري في البيت ده؟ حاضر.

وفتح هشام الباب وإذا به يصرخ:

- اِلحقي يا ماما.

واحتضن طارق وأمسك فيه بكل قوة، ثم أتت أمه من المطبخ وهي تقول:

- إيه يا ولا فيه إيه؟ طارق؟! حبيبي، وحشتني، ازيك يا قلبي اتأخرت السفرية دي قوي.

هشام: يا رامي يا بابا، القبطان رجع القبطان رجع.

وخرج عبد الله والده في لهفة واحتضنه وأخوه رامي أيضًا، وبعد أن ذهبت دهشة فرحتهم برجوع طارق رأت أعينهم تلك المرأة غريبة الأطوار والطفل الذي تحمله على كتفها، فأشارت أميرة – أم

طارق – عليها مستفهمة بالإشارة وهي تنظر له، فضحك طارق وقال:

– تعالوا اقعدوا وأنا هفهمكم.

وجلسوا وحمل طارق ابنه عن ساندي وجعلها تجلس بجواره، وحكى لهم كلّ القصة من خروجه وحتى وصوله ثانية، فقال عبد الله:

– ألف حمدالله على السلامة يا حبيبي.

طارق: الله يسلمك يا حبيبي ربنا يخليك لينا.

أميرة: كده يا طارق تتجوز وتخلف بعيد عني؟

طارق: جت كده يا أمي، وبعدين لو لفّيت الدنيا كلها مش هلاقي زي ساندي.

أميرة: ربنا يهنيكم ويفرحكم يا ابني.

فقام هشام ورامي وأخذا سامر من والده وقالا:

– اسمه إيه الواد ده؟

طارق: اسمه سامر.

رامي: وما سميتهوش ليه على اسم عمه رامي؟

هشام: وما يسميهوش هشام ليه يا فالح؟

طارق: هههههه. هجيب واحد أسميه هشام وواحد أسميه رامي وواحد أسميه عبد الله وبنوته قمر زي ماما ونسميها أميرة.

أميرة: كُلْ بعقلي حلاوة، أصلي عبيطة.

فنظر لها عبد الله نظرة لوم وقال:

– أميرة، قومي جهزي الأكل وقفّلي؛ زمانهم ميتين من الجوع.

طارق: آه والله يا بابا وحشني أكل ماما وعاوز ساندي تدوقه.

أميرة: من عنيا يا حبيبي.

وأشار طارق لإخوته قائلًا:

– أنت ياد أنت وهوّ، فَضُّولي أوضة لِيّا أنا ومراتي وسامر بيه.

فضحك هشام ورامي وقال هشام:

– عنيا يا حبيبي، خمس دقايق وأجهزهالك.

طارق: شكرًا يا حبيب أخوك.

رامي: وأنا مفيش شكرًا؟

طارق: ازاي بقى، دا أنت حبيبي، هههههه.

طارق: يا ماما!!؟

أميرة: أيوه يا طارق.

طارق: وحياتك يا ماما تعالي هاتي حاجة لساندي، هي معصعصة زيك أَهُه، هدومك هَتْلَبِّسها هههههه.

أميرة: نعم يا روح أمك؟

طارق: هههههه. بقولك عودها قمر زيك وهدومك هتلبسها.

أميرة: أيوه اتعدل هههههه.

فأشارت أميرة لساندي قائلة:

– قومي يا حبيبتي تعالي نَقِّي اللي يعجبك.

فنظرت ساندي لطارق فقال لها:

– قومي يا ساندي وخدي راحتك؛ البيت بيتك (وأشار لعائلته) ودول إخواتك وباباكي ومامتك.

ثم أردف:

- وأنت يا واد أنت وهوّ، تخلصوا ترتيب الأوضة وتنزلوا وتجيبوا لبس للباشا سامر.

فرد هشام ورامي قائلين:

- أمرك يا مولاى هههههه.

وبعد أن ارتاح طارق من مشقة كل هذه الأيام الماضية قرر أن يستخرج أوراقا رسمية له ولأبنه ولزوجته، وبعد أن أتمّ هذا ذهب إلى عمله لإجراء بعض الخطوات الروتينية والقانونية، ولضمان حقه في تعويض مناسب عمَّا حدث معه بسبب شركة الشحن ونقل البضائع.

وبعد تأمين موقفه قرر البحث عن تلك الجزيرة مرة أخرى بضمانة ظهورها رسميًا في نفس توقيت القراصنة، وخرج للإبحار أكثر من مرة وفي كل مرة يمر فيها من مضيق جبل طارق يحاول أن يجد الجزيرة التي تظهر وتختفي ولا يعلم لها توقيتا غير هذا اليوم الذي يأتي فيه القراصنة من كل عام، وتمّت ترقية طارق، وصار ربان أول سفينة رسميًا.

وفي أثناء إحدى رحلاته مع طاقمه وعند مروره من مضيق جبل

طارق وإبحاره شمالًا لمح شيئًا بعيدًا يشبه الجزيرة التي كان عليها؛ فاقترب منها ولكن وجدها جزيرة خاوية بلا أي إنسان يعيش فيها فأكمل طريقه وذهب حيث مقصد سفينته.

وبعد عدة رحلات بحرية وزوجته وابنه يقيمان في منزل أبيه في أمن وأمان اقترب شيئًا فشيئًا موعد زيارة القراصنة الموعود للجزيرة، فبدأ يجهز السفينة التي أخذها من القراصنة بعدما غيّر شكلها وجعل هويتها مصرية خالصة وزينها بأعلام مصر واتّفق مع بعض الموردين على بعض الأشياء اللازمة للمعيشة الآدمية وأحضر بعض الآلات الزراعية وآلات الاستصلاح، وبعض الأجهزة الكهربائية ومولدات كهربائية تعمل بالطاقة الشمسية لتعمير الجزيرة وماكينات خياطة وبعض بذور القطن والذرة، وكل ما استطاع إحضاره وبعض الدواجن والماشية الحية كي يربوها في الجزيرة، واتفق مع شركة شحن لترسل كلّ هذا خلف سفينته والدفع عند العودة على مسؤولية طارق الشخصية، واستعان ببعض العمال المخصصين للآلات التي أحضرها كي يُعلموا أهل الجزيرة عليها وكانت كل الآلات تعمل بالطاقة الشمسية.

ونوى طارق أن يذهب قبل الميعاد بساعات لعله يستفيد بكل

لحظة في هذا اليوم، وأخذ معه ساندي وترك ابنه مع والده ووالدته وإخوته على أمل العودة سريعًا إليهم، واعتمد طارق على خالقه وابتدأ رحلته وذهب إلى مضيق جبل طارق وخلفه السفينة الأخرى المحملة بالآلات والبضائع والحيوانات.

وما إن توجه إلى مقصده على الخريطة حتى لاحت له الجزيرة كأنها ترحب به فاقترب ووجد أهل الجزيرة في انتظاره يهللون باستقباله، فرحّب بهم ونزل من السفينة ومعه زوجته ورجاله وهموا بإنزال الأدوات الموجودة، واجتمع طارق بكل أهل الجزيرة وأخبرهم بحقيقة الحاكم المزيفة؛ فهاج عليه كل أهل الجزيرة وهموا بقتله ومنهم من قال إنه طامع في الحكم ويريد أن يأخذ الجزيرة، ومنهم من قال إنه ينوي أن يحتل الجزيرة برجاله، والأخير اقترح أن يُقدّم للمحاكمة فوافق طارق بشرط إن بَرّأه الحاكم سيفعل كل ما يريد بلا مراجعات منهم، فوافقوا جميعًا وقال طارق:

- يلا بينا نروح للحاكم بتاعكم.

أحد أفراد الشعب: احنا اتعوّدنا تكون المحاكمة الصبح زي ما بلغنا الحاكم.

طارق: ما ينفعش لازم أرجع بلدي تاني.

أحد الأفراد: خلاص يا تقعد للصبح يا ترحل بعيد عننا وتسيبنا مع الحاكم بتاعنا وخد الحاجات بتاعتك دي معاك، مش عاوزينك.

وصرخوا بلا استثناء:

- عاش الحاكم العظيم. عاش الحاكم العادل. عاش الحاكم العظيم.

وحاولت ساندي أن تقنعهم بأنهم مخدوعون في هذا الحاكم الذي لا وجود له من الأساس فرفضوا أن يسمعوها وقالوا لها:

- لو كان الحكيم ماندي عايش كان قدّمك للمحاكمة وأعدمك.

فاقترح طارق اقتراحا وعرض عليهم أن يدخلوا بيت الحاكم جميعًا، وإن وجدوه يقتلوا طارق أمامه، وإن لم يجدوه فهذا لصالح طارق، ولكنهم رفضوا هذا الاقتراح وقرروا أن يرحل بمن معه أو يُقتل وتُقتل ساندي معه، فقال طارق لكل جموع الشعب:

- أنا قريت جملة مرة لأفلاطون وتنطبق عليكم للأسف، المقولة بتقول: لو أمطرت السماء حرية لرأيت بعض العبيد يحملون المظلات، وللأسف مش بعض دا الكل هنا يهوى العبودية.

فقام الجميع من مكانه وهاجت الأغلبية على طارق، وهمّوا

بالإمساك به لكنه أنهى الحديث قائلا:

- أنتم اللي بتختاروا مصيركم، ومن النهارده أي محاكمة هتحصل مش هيكون فيها أي أحكام غير البراءة، واختاروا ليكم حكيم غيري وأنا همشي وأنتم الأحرار في حياتكم.

أحد الشعب: يلا اِمشي مش عاوزينك ولا عاوزين كل اللي جبته.

وآخر قال: مش فاضل غيرك أنت يا جاهل تشكك في حاكمنا العظيم. عاش الحاكم.

فرد عليه الشعب بصوت عظيم: عاش الحاكم العادل.

طارق: طيب أنا همشي وأسيبلكم الحاجة اللي معايا دي ليكم.

الشعب: مش عاوزينك ولا عاوزين حاجة منك، حاكمنا كفاية علينا.

طارق: خلاص أنتو أحرار، زي ما أنتو عاوزين.

وصعد طارق وزوجته ورجاله إلى السفينة وداروا حول الجزيرة وذهبوا حيث النفق وفتحه طارق وأرسل الرجال وأحضروا كلّ الذهب الموجود في النفق، وأخذه على السفينة وذهب إليهم مرة

أخرى وقال:

- خدوا الدهب بتاعكم اللي بتحطوه في صندوق المال.

وما إن بدأ بإنزاله حتى اتجه ناحيته المحاربون الذين أعدهم للدفاع عن الجزيرة وبدأوا بالهجوم عليه، فقال لهم طارق:

- أنا جاي أديكم دهبكم، مش قاصد شر ناحيتكم.

فقال له أحد الشيوخ:

- خد الدهب وامشي مش عاوزينه، الحاكم هو اللي هيتصرف معاك.

طارق: دا دهبكم بتاعكم.

الشيخ: خد دهبك وامشي علشان شكلكم هتموتوا هنا.

فوقف طارق فوق سفينته وقال لأهل الجزيرة قبل أن يرحل:

- للأسف أنتو أجدادكم قِبلوا المهانة والذل في البداية، والمستعمرين صنعوا منكم عبيد واستعبدوكم، ومن حبكم في الاستعباد بعد ما المستعمرين مشيوا فضلتم مقيّدين نفسكم بشبح العبودية المُرّة، أنتم بتمثلم طبقة كبيرة عايشة في كل مكان؛ بتعشق

إنها تمشي في ظل غيرها وتخاف تشوف شمس الحرية والحياة، وأصبح أسياد قومكم عبيد بلا أي استثناء. سلام يا جزيرة العبيد.

أحد الشيوخ في الجزيرة: كلمة كمان وهنقتلك ونقتل كل اللي معاك ونولع في السفن بتاعتكم، امشي من هنا ولو جيت تاني هتكون المرة التالتة وهتتقتل بدون محاكمة.. امشي.

ضحك طارق وأخذ الذهب ورحل من حيث أتى وخلفه السفينة الأخرى محمّلة كما هي، وبينما هو جالس يتأمل في البحر تأتي ساندي إليه وتقول:

- أنا عارفة إنك زعلان، ما تزعلش منهم علشان خاطري.

طارق: صدقيني مش زعلان منهم بس صعبانين عليا، عارفة يا ساندي، أول مرة في حياتي ألاقي ناس بتحب العبودية وبتهرب من الحرية، زي ما يكونوا خايفين يواجهوا الحقيقة أو خايفين يتحملوا مسؤولية!!

ثم ضحك طارق بطريقة هستيرية، فقالت ساندي:

- بتضحك على إيه؟

طارق: بَضحك على نفسي، جاي أديهم الحرية على طبق من

ذهب ورفضوها، ومش بس كده لأ دول رفضوا الدهب اللي هما تعبوا فيه وفي جَمْعُه على مدار سنتين كاملين، للأسف الناس دول يا ساندي مخدوعين عن اقتناع!!

ساندي: معلش يا طارق، الحاكم هويتهم وروحهم وتاريخهم اِلتمسلهم العذر.

طارق: فعلًا عذر!! بس عذر أقبح من الذنب.

انتهت صفحة الجزيرة من حياة طارق وذهب إلى الإسكندرية، وأرجع كل شيء لشركة الشحن وتكلّف مواصلات النقل فقط، وباع الذهب الذي أحضره وأصبح لديه أسطول بحري، وبمرور الأيام تحسنت الأحوال واجتهد طارق أكثر وأكثر، وكبر سامر في أحضان جده وجدته، وتزوج إخوة طارق وانتقل للعيش في مكان أفضل في أحد أحياء الإسكندرية، وعمل إخوته معه في مجال الملاحة.

وفي يوم من أيام رحلات طارق أتت إشارة إلى الشركة الخاصة به تقول: إن السفينة فقدت إشارتها في شمال المحيط الأطلسي، فأخبر هشام والديه بما حدث في سفينة طارق، فقفزت ساندي من مكانها وأخبرتهم أنه ربما يكون في الجزيرة، ولو ذهب للجزيرة سيُقتل؛

لأن من يترك الجزيرة أكثر من ثلاث مرات ويعود يقتل بلا محاكمة.

اقتلعت ساندي بهذه الكلمات قلبَ أبيه وأمه، وهمّت بالرحيل إليه، وأحضروا طاقما وربانا للرحلة، وما إن صعدوا وبدؤوا رحلتهم حتى أبلغهم هشام أن طارق على بعد ميل واحد من الإسكندرية؛ فتنفست ساندي الصعداء ورجعت إلى الميناء وانتظرت طارق، وبمجرد وصوله جعلته يقسم أن لا يعود مرة أخرى إلى البحر لأى سبب من الأسباب كي تربي ولدها سامر والطفل الذي تحمله في أحشائها مع طارق.

كان طارق لا يعلم بهذا الطفل الوافد الجديد وبمجرد أن أخبرته ساندي قرر أن يسمع لها، وبالفعل اعتزل الإبحار وقرر أن يرعى أسرته وأن يعيش حياته معهم دون أن يفارقهم مرة أخرى.

تمت بنعمة الله